حكايات من المغرب العربي
حول الماء

الجزائر – المغرب – تونس

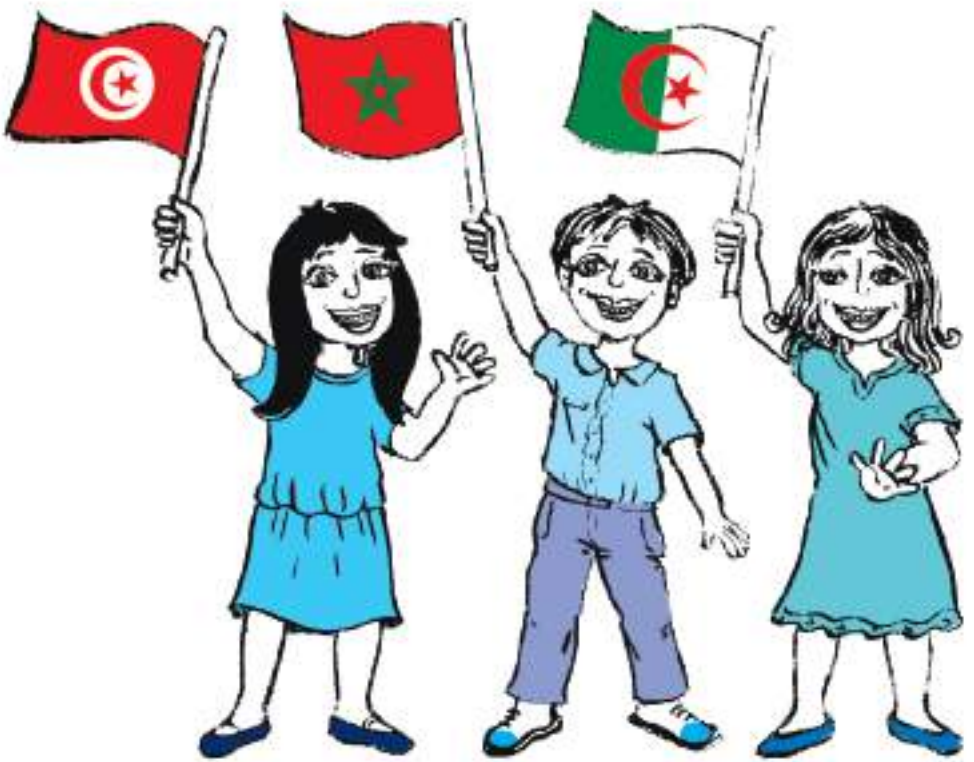

حكايات من المغرب العربي حول الماء

فهرس

- حكاية جزائرية 5
- ماء المطر 6
- الزوجة والرجل الكسول 16
- فريدة والحفاظ على الماء 26
- لولجة و الماء 36
- شفت الناشفة رجعت غدير 46
- صروا تلاقوا ما تحلوا 56
- حكاية مغربية 71
- مصيرينة ورميمينة (قطعة من الامعاء ورمانة) 72
- عائشة الصبورة 84
- السبع قروح والسبع أفراح 94
- غربال 106
- هاينة وشقيقها الغزال 118
- حكاية تونسية 137
- حجاية عويشيشة 138
- الْبِئْرُ وَالْأَوْلَادُ 152
- السُّلْطَانُ وَالْفِيلُ 162
- السَّقَّاءْ 176
- سُوجْ آ لَحْمَامْ (عِينْ أَمْ الطْيُورْ) 190

حكايات جزائرية

ماء المطر

هذه الحكاية مستوحاة من الحكايات التقليدية المستخلصة من التراث الجزائري لمدينة واد سوف، وهي جزء من سلسلة الحكايات الجديدة حول الماء في المغرب العربي (الجزائر، المغرب و تونس).

كُتِبَت هذه الحكاية من طرف مجموعة من النساء المتطوعات في إطار ورشة الكتابة التشاركية التي نظمها مشروع « حكواتيات مغاربيات : فاعلات التغيير للحفاظ على الماء »، وذلك في سبتمبر2017 م بمدينة واد سوف.

ساهمت في هذه الورشات : السيدات مباركة بهنون، فتيحة بجاج، سيدة بلهادي، سعيدة بنحمية، شريفة شريف، فاطمة جلول، سليمة غضبان، كريمة حامد، سعاد ديدي ، سليمة غزال وحليمة سباك عبد القادر في كتابة هذه الحكاية، تحت تأطير الحكواتي السيد فيصل بلعطار.

تأليف : بلهادي السيدة

مراجعة النص أدبيّا وفنيّا : جهيدة بوخالفة، مستشارة تقنية GIZ الجزائر

رسم : نادية ذهب

قام بتتبع إنجاز هذه الحكاية السيدات جهيدة بوخالفة، ماريا آنا رودريغيز وكيريتي روجاني (الوكالة الألمانية للتعاون الدولي) وليليا بنزيد (مرصد الصحراء والساحل).

تعود محتويات هذا المنشور إلى مسؤولية الوكالة الألمانية للتعاون الدولي ومرصد الصحراء والساحل.

هذا المنشور للاستخدام غير الهادف للربح، وبالتالي لا يمكن بيعه

كان يـا مـكان في سـالف العـصر والزمـان، قريـة في عمـق الصحـاري. كانـت في هـذه القريـة امـرأة في منتصـف العمـر تعيـش مـع أطفالهـا الصغـار في كـوخ مـن بـين الأكـواخ. و كانـت هـذه القريـة خاليـة مـن مصـادر المـاء إلا مـن بـئر بعيـدة جـدا و التـي كان الوصـول إليهـا بشـقاء كبـير مـما جعـل الكثـير مـن سـكانها يعانـون فيهـا مـن الجفـاف.

وفي يـوم مـن الأيـام, بينـما أهـل القريـة غافلـون كل منهمـك في مـا هـو فيـه، فجـأة وقـع مـا لم يكـن في الحسـبان، بـدأت الأمطـار تنـزل مـن السـماء بغـزارة شـديدة، تفاجـأ السـكان وابتهجـوا وبـدؤا باللعـب تحـت الأمطـار المتدفقـة فرحـين متمتعـين بالقطـرات البـاردة التـي تبـدد حـر الأيـام الماضيـة.

في هاتـه الأثنـاء , والقـوم منهمكـون في مـا هـم فيـه، طلبـت المـرأة مـن أطفالهـا الصغـار جمـع كل الأواني التـي يمكـن تخزيـن الميـاه فيهـا. قلـق الأطفـال مـن هـذا التكليـف الـذي يحرمهـم مـن مشـاركة أترابهـم وأهـل القريـة في اللعـب والابتهـاج بالمطـر، خاصـة وأن أهـل القريـة بمـا فيهـم الأطفـال يضحكـون ويهـزؤون مـن الأم وأولادهـا. غضـب الصغـار مـن أمهـم وقالـوا لهـا: أمـي! أمـي!... لمـاذا تتركيننـا أضحوكـة للصغـار والكبـار ؟

قالـت الأم : اصـبروا يـا أطفـالي وثابـروا في جمـع المـاء وسـترون العاقبـة... إنهـم يضحكـون اليـوم وغـدا أنتـم الضاحكـون ، إن غـدا لنـا ضر قريـب وهـو ليـس ببعيـد، فصـبرا جميـلا صغـاري الأعـزاء. وهكـذا دام المطـر يومـا وليلـة، و فجـأة توقـف المطـر وهـدأ الجـو.

مرت الأيام بعد حادث هطول الأمطار، و جف البئر الذي يمدهم بالمياه.
فجع السكان من قلة الماء و أصبح الكل يعاني من العطش و الجفاف. بدأ الناس يهيمون في كل مكان بحثا عن شربة ماء تزيل الظمأ، والكل يسأل على من عنده قطرة ماء و يجوبون كل الأرجاء مشكلين بهذا لوحة مضحكة.
في هذه الأثناء كانت امرأة قصتنا تجلس أمام كوخها ضاحكة هي وأطفالها بعد الارتواء من مخزون الماء، ثمرة شقائها في الأيام الماضية. التفتت الأم إلى أطفالها وقالت: يا أولادي الأحباء و الأعزاء جاء اليوم الموعود، ضحكوا علينا بالأمس واليوم أنتم الضاحكون, قولوا معي: كل من أمسو شقى وحافظ على الماء, اليوم شرب وروى.

ومنـذ ذلـك اليـوم, فهـم الأطفـال معنـى وجـود المـاء و اقتصـاده بالنسـبة للحيـاة والعـمار.

هكـذا ننهـي حكايتنـا ونختمهـا بالصـلاة عـلى سـيدنا النبـي قائدنـا، وخلاصـة كلامـي إليكـم يـا حاضريـن معـي : « يـا مـن عنـدك المـاء وغـير مهتـم بـه ، وتبـذر فيـه، يـأتي اليـوم الـذي تكـون محتـاج لقطـرة منـه. »

الزوجة والرجل الكسول

هذه الحكاية مستوحاة من الحكايات التقليدية المستخلصة من التراث الجزائري لمدينة واد سوف، وهي جزء من سلسلة الحكايات الجديدة حول الماء في المغرب العربي (الجزائر، المغرب و تونس).

كُتِبَت هذه الحكاية من طرف مجموعة من النساء المتطوعات في إطار ورشة الكتابة التشاركية التي نظمها مشروع « حكواتيات مغاربيات : فاعلات التغيير للحفاظ على الماء »، وذلك في سبتمبر2017 م بمدينة واد سوف.

ساهمت في هذه الورشات : السيدات مباركة بهنون ، فتيحة بجاج، سيدة بلهادي، سعيدة بنحمية، شريفة شريف، فاطمة جلول، سليمة غضبان، كريمة حامد ، سعاد ديدي، سليمة غزال وحليمة سباك عبد القادر في كتابة هذه الحكاية، تحت تأطير الحكواتي السيد فيصل بلعطار.

تأليف : فطيمة جلول

مراجعة النص أدبيّا وفنيّا : جهيدة بوخالفة، مستشارة تقنية GIZ الجزائر

رسم : نادية ذهب

قام بتتبع إنجاز هذه الحكاية السيدات جهيدة بوخالفة، ماريا آنا رودريغيز وكيريتي روجاني(الوكالة الألمانية للتعاون الدولي) وليليا بنزيد (مرصد الصحراء والساحل).

تعود محتويات هذا المنشور إلى مسؤولية الوكالة الألمانية للتعاون الدولي ومرصد الصحراء والساحل.

هذا المنشور للاستخدام غير الهادف للربح، وبالتالي لا يمكن بيعه

باسم الله بدأت و على النبي المختار صليت
أحكي لكم حكاية و اسمعوها معايا, تقول الحكمة:
من السماء اتواطيت و في الأرض جريت
العود الذي غرست به إنكويت يا خسارتي فيما ربيت

كان يا ما كان في قديم الزمان، كانت هناك بنت ساكنة في قرية صغيرة. كانت البنت تذهب كل يوم في الصباح الباكر إلى البئر لتأخذ الماء. كانت تحمل على كتفيها عصا يتدلى منها دلو من كل جهة. كانت عندما تصل إلى البئر تجد رجلا يُخرج الماء من البئر ويفرغه في حوض كبير حفاظا عليه من التبذير ليأخذ منه الناس. كانت الفتاة كذلك تملؤ الدلوان من ذلك الحوض.

بعد سنوات قليلة، تزوجت البنت وذهبت مع زوجها إلى بيتهم الذي كان في القرية المجاورة أين كان يقطن زوجها مع أمه وأبيه العجوز. كان الأب العجوز يذهب كل صباح لجلب الماء بنفسه لأن زوجها كان كسولا. كانت الزوجة تقسم الماء الذي يأتي به العجوز حسب استعماله: تضع ماء الوضوء في نحاسة، وماء الغسل في الزير وتغلي ماء الشرب والطبخ لتنقيته ثم تضعه في القربة وتعلقها في بعيدا حفاظا عليها.

بعد مرور عدة سنوات توفي والد زوجها العجوز ، فأخذ الزوج زوجته ورحلوا من تلك القرية ليسكنوا في مزرعة بعيدة.
مرت الأيام وأصبحت المرأة حامل، ورغم حملها إلا أنها كانت دائما تقوم بأعمال زوجها لأنه كان كسولا... لسقي النخيل، كانت تفتح الماجن فينطلق الماء عبر الساقية فتأخذ المرأة بعضا من الليف والملابس القديمة لتقفل الساقية حتى تروي النخيل، ثم تقفل على النخيل وتفتح الماء على الأشجار، ثم تقفل على الأشجار وتفتح على الزرع. وبعد مرور أشهر، وضعت المرأة حملها فساءت أحوال المزرعة و طردهم صاحبها.

رحلت العائلة إلى قرية مجاورة وذهبت الزوجة المكافحة لتعمل في حظيرة دواجن التي كانت تزاول فيها تقسيم الماء على الدواجن تقسيما متوازيا واقتصاديا لتروي الدجاج وتحافظ على الماء في نفس الوقت.

وهكـذا عاشـت المـرأة بقيـة حياتهـا وهـي تحـكي قصتهـا للكبـار والصغـار لأن المـاء هـو الحيـاة.

وختام كلامي بالمقولة الشعبية : « غابة غابة وكل عام تأتينا الصابة ».

فريدة والحفاظ على الماء

هذه الحكاية مستوحاة من الحكايات التقليدية المستخلصة من التراث الجزائري لمدينة واد سوف، وهي جزء من سلسلة الحكايات الجديدة حول الماء في المغرب العربي (الجزائر، المغرب و تونس).

كُتِبَت هذه الحكاية من طرف مجموعة من النساء المتطوعات في إطار ورشة الكتابة التشاركية التي نظمها مشروع «حكواتيات مغاربيات : فاعلات التغيير للحفاظ على الماء »، وذلك في سبتمبر2017 م بمدينة واد سوف.

ساهمت في هذه الورشات : السيدات مباركة بهنون، فتيحة بجاج، سيدة بلهادي، سعيدة بنحمية، شريفة شريف، فاطمة جلول، سليمة غضبان، كريمة حامد، سعاد ديدي، سليمة غزال وحليمة سباك عبد القادر في كتابة هذه الحكاية، تحت تأطير الحكواتي السيد فيصل بلعطار.

تأليف : سعيدة بن حمية

مراجعة النص أدبيّا وفنيّا : جهيدة بوخالفة، مستشارة تقنية GIZ الجزائر

رسم : نادية ذهب

قام بتتبع إنجاز هذه الحكاية السيدات جهيدة بوخالفة، ماريا آنا رودريغيز وكيريتي روجاني (الوكالة الألمانية للتعاون الدولي) وليليا بنزيد (مرصد الصحراء والساحل).

تعود محتويات هذا المنشور إلى مسؤولية الوكالة الألمانية للتعاون الدولي ومرصد الصحراء والساحل.

هذا المنشور للاستخدام غير الهادف للربح، وبالتالي لا يمكن بيعه

كان يا مكان في زمن غير بعيد.

كانت هناك بنت تدعى فريدة.

كانـت فريـدة .. فتـاة ذكيـة و مجتهـدة ..اسـتمعت باهتـمام الى كلام معلمـة العلـوم حـين تحدثـت عـن الميـاه ... و كيـف أننـا يجـب أن نحافـظ عليهـا و نوفّـر أو نقتصـد في اسـتخدامها . لكنهـا سـألت نفسـها عـن معنـى أن نقتصـد في اسـتخدامها ؟ و لأنهـا تحـب أن تعـرف أكـثر و أكـثر، رفعـت فريـدة إصبعهـا و سـألت المعلمـة عـن ذلـك... فرحـت المعلمـة بسـؤالها و أجابتهـا قائلتـا: يـا فريـدة ! يجـب علينـا أن نأخـذ مـن المـاء مـا نحتـاج اليـه فقـط و لا نبـذّره أي لا نتركـه يضيـع دون أن نسـتفيد منـه ... لأن المـاء مـن الممكـن أن ينتهـي !!

تعجبـت فريـدة مـن هـذا ! فهـي لم تفكـر أبـدا بـأن المـاء قـد ينتهـي يومـا ! و مـاذا سـيحدث لـو انتهـى ؟ ألـن تجـد مـا تشربـه ؟ ألـن يسـتطيع الجميـع أن يغتسـل و ينظـف ملابسـه و بيتـه ؟

الماء
الحياة
يجب أن نحافظ
على الماء
و نوفر أو نقتصد
في استخدامها

عـادت فريـدة إلى المنـزل و هـي تفكـر في كلام المعلمـة... وفجـأة انتبهـت إلى صـوت اندفـاع المـاء مـن حنفيـة المطبـخ... هرولـت فريـدة إلى هنـاك .. و رأت أمهـا تقـوم بغسـل بعـض الخـضراوات فقالـت بانزعـاج: لا! لا يـا أمـي ! لا أريدهـا أن تنتهـي ! هـذه الكميـة مـن المـاء كثـيرة جـدا لغسـل هـذه الكميـة مـن الخـضراوات ! تعجبـت الأم مـن كلام فريـدة و مـع ذلـك قللـت مـن المـاء الـذي تسـتعمله.

و في نهايـة اليـوم .. قبلـت فريـدة والديهـا و ذهبـت لتنـام..... و بعـد مـرور سـاعة مـن الزمـن ... سـمعت فريـدة صوتـا عجيبـا ! و كأنـه صـوت طفلـة صغـيرة تتحدث و فمهـا بـه بعـض المـاء... كان الصـوت ينـادي و يقـول : « فرييييـدة ! فرييييـدة ! إسـتيقظي .... هيـا تعـالي معـي ! « اسـتيقظت فريـدة و هـي تفـرك عينيهـا و تنظـر في دهشـة حولهـا ! رأت عـلى الطاولـة قطـرة مـاء صغـيرة ... تنظـر اليهـا بخـوف و حـزن شـديد ... تعجبـت فريـدة كثـيرا منهـا و قالـت : « مـن أنـتِ ؟ » فأجابتهـا الصغـيرة : « أنـا قطـرة مـاء يـا فريـدة ... جئـت لأودعـكِ ...لأننـي سـأرحل مـن هنـا و سـترحل معـي كل القطـرات لـن نبقـى عندكـم أبـدا ! قالـت فريـدة : « لا ! ...لا ! أرجـوكِ ! انتظـري ! ...مـاذا سـنفعل بدونـك ؟! » قالـت القطـرة الصغـيرة : « أنتـم لا تحافظـون علينـا و لذلـك سـنهرب منكـم ! الـوداع يـا فريـدة! .... الـوداع ! » وقفـزت القطـرة مـن النافـذة. ركضـت فريـدة وراء القطـرة محاولـة الإمسـاك بهـا ...و لم تسـتطع .

ذهبت فريدة إلى أمها لتروي لها ما حدث... فوجدت الأم وقد غطى الصابون وجهها وأخذت تنادي ماء!... ماء ! و التفتت إلى أبيها فوجدته يبحث عن ملابس نظيفة ليرتديها...لكنه لم يجد ! أما أختها الصغرى فكانت تصيح و تبكي ...تريد أن تشرب ماءاً لكن الماء غير موجود ! خرجت فريدة إلى حديقة المنزل لتأتي بالماء من حنفية الحديقة .... فوجدت حديقتهم الجميلة قد ذبلت ورودها و سقطت أوراق أشجارها ! و الجو مليء بالغبار فلا توجد

أمطار و لا أنهار .... ظلت فريدة تبكي ... و تبكي و هي تصيح : « أرجوكِ عودي ! سامحينا يا قطرة الماء الغالية ! لا تتركينا ! » و هنا دخلت الأم إلى غرفة فريدة ممسكة بكوب من الماء و هي تقول : « استيقظي يا فريدة ! ...استيقظي يا ابنتي ! إنك تحلمين ! تفضلي كوب الماء هذا و أوقفي بكاءك »

استيقظت فريدة و حكت لأمها عن الحلم ، ثم أمسكت بكوب الماء تحتضنه و تقبله و هي تقول : « سنحافظ عليكِ ! ..... سنقتصد في استعمالك ! .... لا يمكننا الحياة بدونك ! »

ابتسمت أمها بحنان و قالت : « يا له من كلام جميل ! »

لولجة والماء

هذه الحكاية مستوحاة من الحكايات التقليدية المستخلصة من التراث الجزائري لمدينة واد سوف، وهي جزء من سلسلة الحكايات الجديدة حول الماء في المغرب العربي (الجزائر، المغرب و تونس).

كُتِبَت هذه الحكاية من طرف مجموعة من النساء المتطوعات في إطار ورشة الكتابة التشاركية التي نظمها مشروع « حكواتيات مغاربيات : فاعلات التغيير للحفاظ على الماء »، وذلك في سبتمبر2017 م بمدينة واد سوف.

ساهمت في هذه الورشات : السيدات مباركة بهنون، فتيحة بجاج، سيدة بلهادي، سعيدة بنحمية، شريفة شريف، فاطمة جلول، سليمة غضبان، كريمة حامد، سعاد ديدي، سليمة غزال وحليمة سباك عبد القادر في كتابة هذه الحكاية، تحت تأطير الحكواتي السيد فيصل بلعطار.

تأليف : سعاد ديدي.

مراجعة النص أدبيّا وفنيّا : جهيدة بوخالفة، مستشارة تقنية GIZ الجزائر

رسم : نادية ذهب

قام بتتبع إنجاز هذه الحكاية السيدات جهيدة بوخالفة، ماريا آنا رودريغيز وكيريتي روجاني (الوكالة الألمانية للتعاون الدولي) وليليا بنزيد (مرصد الصحراء والساحل).

تعود محتويات هذا المنشور إلى مسؤولية الوكالة الألمانية للتعاون الدولي ومرصد الصحراء والساحل.

هذا المنشور للاستخدام غير الهادف للربح، وبالتالي لا يمكن بيعه

حاجيتكم لولا حكايتي ما جيتكم.

كان يما كان...
كان هنـاك امـرأة اسـمها لولجـة. كانـت لولجـة متزوجـة وأم لأربعـة أولاد. كانـت لولجـة حكيمـة وفطنـة.
كان زوج لولجـة تاجـرا كبـيرا في سـوق القـماش. في يـوم مـن الأيـام جـاءت امـرأة جميلـة جـدا مـن مدينـة بعيـدة، لتشـتري كميـة مـن القـماش الـذي لم يكـن متوفرا في مدينتهـا. ذهبـت هـذه المـرأة إلى زوج لولجـة لتشـتري مـن عنـده القـماش، فأعجـب بهـا و طلبهـا للـزواج. قبلـت المـرأة وتزوجـت منـه.
كانـت هـذه البـلاد تعـاني مـن نـدرة و شـح المـاء. كان الرجـال يجلبـون المـاء مـن بـئر بعيـدة جـدا.

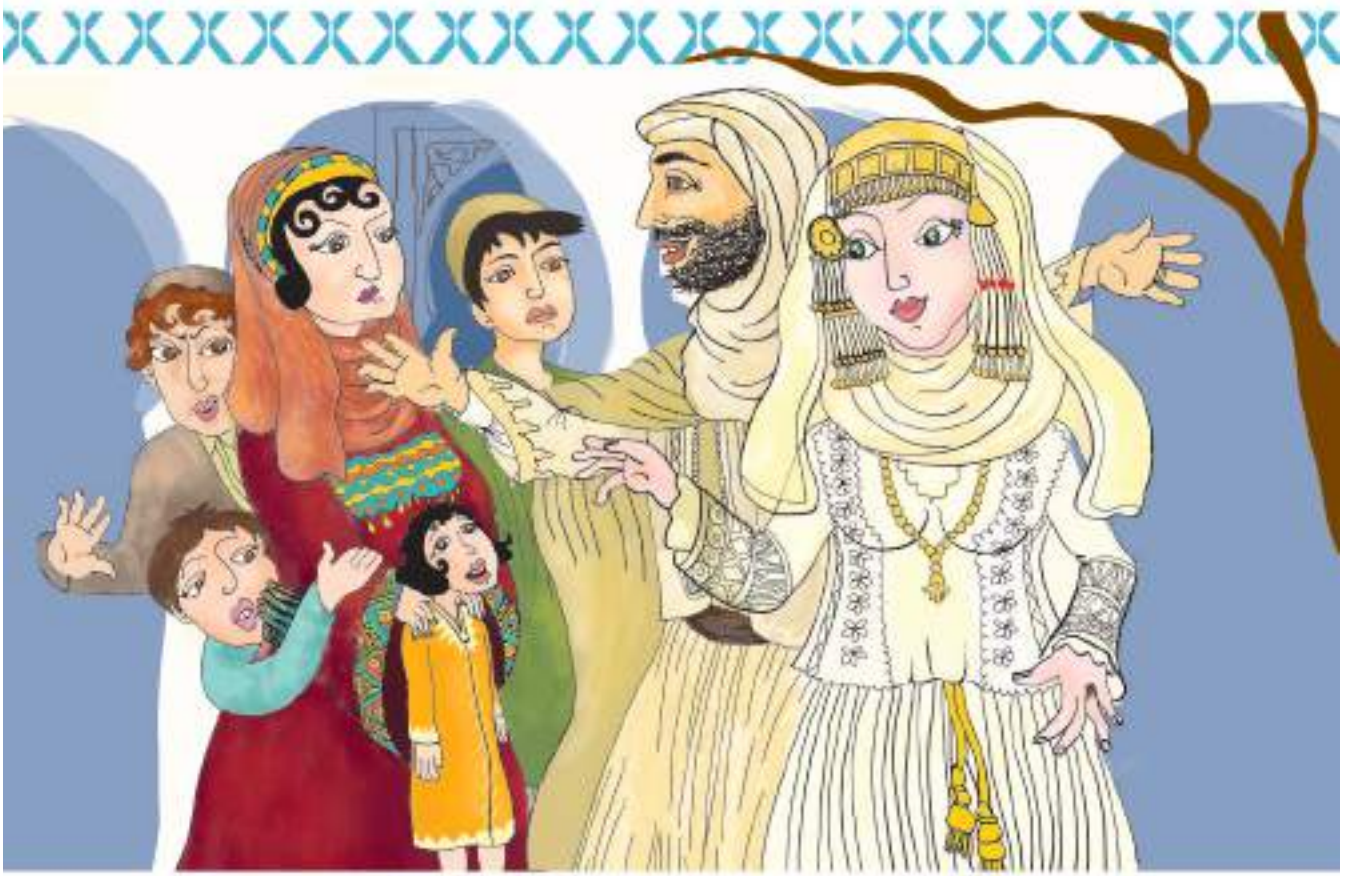

في أحـد الأيـام، ضاقـت لولجـة مـن الزوجـة الثانيـة ضرّتهـا وقالـت في نفسـها : مـاذا ينقصنـي حتـى يتـزوج زوجـي واحـدة أخـرى، أنـا امـرأة ذكيـة وفطنـة ومحافظـة عـلى مـال زوجـي وعـلى بيتـي و أولادي. فكـرت لولجـة كثـيرا في حـل مشـكلتها و قـررت الذهـاب إلى حكيمـة القريـة، وحكـت لهـا عـن مـا حـدث لهـا وكيـف تـزوج عليهـا زوجهـا. قالـت لهـا حكيمـة القريـة: يـا لولجـة، إن حل مشـكلتك سـهل جـدا، وأعطتهـا حيلـة، قائلتـا لهـا: لمّـا يـأتي زوجـك ليطلـب منكـم الأواني لجلـب المـاء أنـت وضرتـك، أعطيـه أصغـر ماعـون عنـدك.

عملت لولجة بنصيحة الحكيمة، أما الزوجة الثانية فكانت تسرف في استعمال الماء كثيرا وتبذره لتتباهى بجمالها وكانت لما زوجها يريد الذهاب لجلب الماء تعطيه كل المواعين والقرب الموجودة لديها. وبعد عدة أشهر، بدأ الزوج يتذمر من الزوجة الثانية لأنه أصبح كل يوم يذهب ليجلب لها الماء، بينما كانت لولجة تقتصد وتطلب منه الماء مرتين في الأسبوع فقط لا غير. بعد مدة, فكّر الزوج و قال في نفسه : لولجة بأولادها تطلب أقل من الضرة التي ليس لديها أولاد : كيف سيصبح حالي لو جاءها أولاد؟ في هذه الحال لن أستطيع أن أفتح متجري و أشتغل و أبيع و أشتري القماش. سوف يكون عملي الوحيد هو جلب الماء لزوجتي الجميلة.

حينها قرر التاجر أن يطلق الزوجة المبذرة وعاش مع لولجة. هكذا حافظت لولجة على زوجها وأولادها بفضل توفيرها للماء. وراحت لولجة تحكي حكايتها للناس، من دار لدار ومن قرية ل قرية ، ويقول المثل « الراجل ساقية و المرأة جابية.»

« خرافتنا غابة غابة و كل عام تأتينا صابة بجاه النبي وأصحابه، تفاحة ليا وتفاحة ليك وتفاحة لمن يسمع فيا, بجاه خير البرية ».

شفت الناشفة رجعت غدير

هذه الحكاية مستوحاة من الحكايات التقليدية المستخلصة من التراث الجزائري لمدينة واد سوف، وهي جزء من سلسلة الحكايات الجديدة حول الماء في المغرب العربي (الجزائر، المغرب و تونس).

كُتِبَت هذه الحكاية من طرف مجموعة من النساء المتطوعات في إطار ورشة الكتابة التشاركية التي نظمها مشروع « حكواتيات مغاربيات : فاعلات التغيير للحفاظ على الماء »، وذلك في سبتمبر2017 م بمدينة واد سوف.

ساهمت في هذه الورشات : السيدات مباركة بهنون، فتيحة بجاج، سيدة بلهادي، سعيدة بنحمية، شريفة شريف، فاطمة جلول، سليمة غضبان، كريمة حامد، سعاد ديدي، سليمة غزال وحليمة سباك عبد القادر في كتابة هذه الحكاية، تحت تأطير الحكواتي السيد فيصل بلعطار.

تأليف : فتيحة بجاق

مراجعة النص أدبيّا وفنيّا : جهيدة بوخالفة، مستشارة تقنية GIZ الجزائر

رسم : نادية ذهب

قام بتتبع إنجاز هذه الحكاية السيدات جهيدة بوخالفة، ماريا آنا رودريغيز وكيريتي روجاني (الوكالة الألمانية للتعاون الدولي) وليليا بنزيد (مرصد الصحراء والساحل).

تعود محتويات هذا المنشور إلى مسؤولية الوكالة الألمانية للتعاون الدولي ومرصد الصحراء والساحل.

هذا المنشور للاستخدام غير الهادف للربح، وبالتالي لا يمكن بيعه

كان يـا مـكان في قديـم الزمـان كان هنـاك شـيخ كبـير في العمـر ولم يرزقـه اللـه إلاً بنتـا واحـدة تمثـل كل مـا لديـه في الدنيـا. كان الشـيخ يعمـل في مزرعـة رجـل غنـي ويسـكن فيهـا مـع بنتـه. كان يعـزق و يـزرع ويسـقي حتـى أصبحـت المزرعـة جنـة خـضراء. كان الشـيخ يعلـم ابنتـه أصـول الزراعـة وكيفيـة السـقي الصحيـح حتـى تأخـذ النباتـات المـاء الـكافي مـن غـير تبذيـر. كان الشـيخ الأب يقـول لهـا دائمـا : يـا بنيتـي تعلمـي منـي واعمـلي بنصائحـي فسـوف يـأتي يـوم تـخلفينني في إدارة هذه المزعـة. و الحقيقـة كانـت هـذه البنيـة ذكيـة ونهبـة تسـمع تحفـظ وتعمـل بـكل نصائـح والدهـا العجـوز.

مـرت السـنين و كـبر الشـيخ وهـرم و لم يعـد قـادرا عـلى القيـام بالمزرعـة كعادتـه و تولـت البنـت كل أعـمال المزرعـة وحدهـا. في يـوم مـن الأيـام, نـادى الشـيخ ابنتـه قائـلا : يـا بنيتـي لقـد كـبرت ولم أعـد قـادرا أن أسـاعدك و أضـاف : « الصغـر مـضى ولـن يعـود ومـن يعمـل خـيرا يعـود عليـه كـما السـواقي التـي تنـزل مـن السـماء و مـن يعمـل شرا يعـود عليـه كالمـرض الـذي لا دواء لـه ».

فهمت البنت حديث أبيها وحفظته وفكرت في معناه جيدا.

كانـت البنـت تعمـل في المزرعـة بـكل جهـد وأمانـة, تسـقي وتـزرع حتـى زادت المزرعـة اخـضرارا وأُعجـب صاحـب المزرعـة بعملهـا و أمانتهـا وأصبحـت بذلـك أهـم عامـل عنـده.

أمـا المزرعـة فباتـت مشـهورة في كل المناطـق المجـاورة. وبعـد مـدة مـن الزمـن جـاء حكيـم الى المنطقـة يـدور ويصيـح قائـلا : « سـوف يأتيكـم جفـاف قريبـا سـوف ! تجـف الارض !.... جفـاف !... جفـاف !... جفـاف ! ».

لمـا سـمعه سـكان المنطقـة سـخروا منـه و اسـتهزأوا بـه. غضـب الحكيـم و رد قائلا : « لا تفرحـوا بمـا بـين أيديكـم اليـوم مـن رخـاء لقـد رأيـت الأراضي الناشـفة رجعـت غديـر واليابسـة كسـاها الاخـضرار و ربنـا قـادر عـلى تبديـل السـاعة بالخـير ». وتركهـم الشـيخ الحكيـم ليكمـل طريقـه.

سـمعت البنـت حديـث الحكيـم و ذهبـت لتخـبر والدهـا قائلتـا : « يـا أبي !....

يـا أبي !، لقـد سـمعت حكيـما يصيـح في الطريـق ويقـول جفـاف !... جفـاف !... جفـاف ! » و أضافـت : « أنـا خائفـة يـا أبي ! لـو كان كلامـه صحيحـا سـوف نخـسر المزرعـة التـي هـي مصـدر قوتنـا و عيشـنا ». قـرر الأب و البنـت إخبـار صاحـب المزرعـة بالأمـر حتـى يجـدوا الحـل معـا.

قـال صاحـب المزرعـة: «إذا وجدتـم الحـل أنـت و ابنتـك لإنقـاذ مزرعتـي فسـوف أهبكـما نصفهـا.

بعـد مـرور وقـت قصـير، قالـت البنـت الذكيـة أبيهـا : « أنـا وجـدت الحـل, نتعـاون أنـا و أنـت ، و نبنـي أحواضـا فـوق الارض بالطـين وكل حـوض نخصـص لـه حفـرة عميقـة بقربـه ومـا بـين الحفـرة والحـوض نبنـي سـاقية.

بـدأت البنـت تعمـل حتـى أكملـت بناء الأحـواض و الحفـر. أعجب صاحـب المزرعة

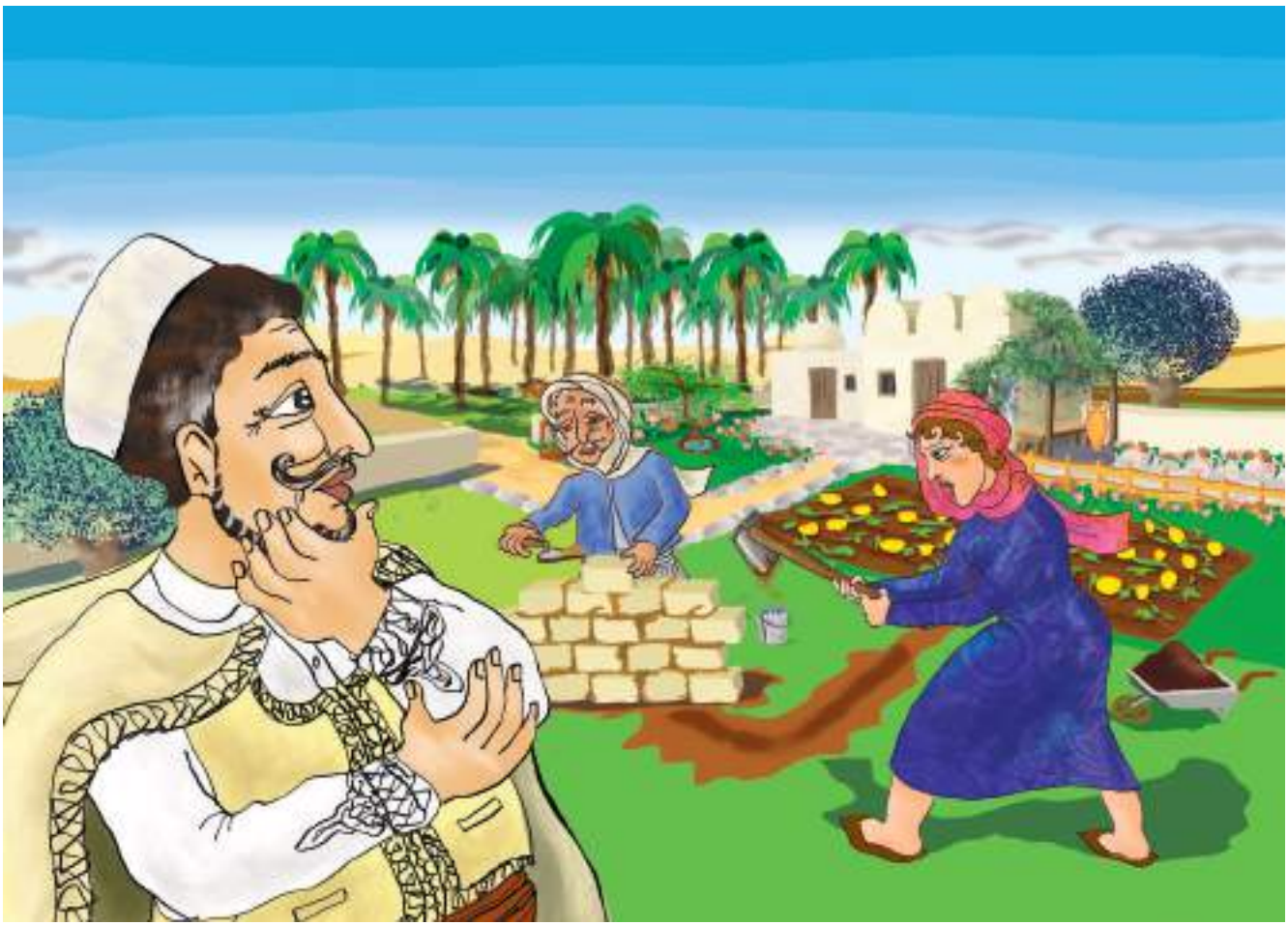

بفكـرة البنـت وبعـد شـهور نزلـت الأمطـار وامتـلأت الاحـواض والحفـر بالميـاه. لمـا جـاء الجفـاف بعـد فـترة قصـيرة، أنقـذت حكمـة البنـت الذكيـة المزرعة التـي كانت تسـقى بميـاه الأحـواض وبقيـت خـضراء و مثمـرة. أوفى صاحـب المزرعـة بوعـده و وهبهـا نصـف المزرعـة وزوجهـا مـن ابنـه وعاشـت في سـعادة وهنـاء و ذلـك بفضـل فكـرة تجميـع المـاء في الحفـر والأحـواض و اقتصادهـا و عـدم تبذيرهـا.

صروا تلاقوا ما تحلوا

هذه الحكاية مستوحاة من الحكايات التقليدية المستخلصة من التراث الجزائري لمدينة واد سوف، وهي جزء من سلسلة الحكايات الجديدة حول الماء في المغرب العربي (الجزائر، المغرب و تونس).

كُتِبَت هذه الحكاية من طرف مجموعة من النساء المتطوعات في إطار ورشة الكتابة التشاركية التي نظمها مشروع « حكواتيات مغاربيات : فاعلات التغيير للحفاظ على الماء »، وذلك في سبتمبر2017 م بمدينة واد سوف.

ساهمت في هذه الورشات : السيدات مباركة بهنون، فتيحة بجاج، سيدة بلهادي، سعيدة بنحمية، شريفة شريف، فاطمة جلول، سليمة غضبان، كريمة حامد، سعاد ديدي، سليمة غزال وحليمة سباك عبد القادر في كتابة هذه الحكاية، تحت تأطير الحكواتي السيد فيصل بلعطار.

تأليف : كريمة حامد

مراجعة النص أدبيّا وفنيّا : جهيدة بوخالفة، مستشارة تقنية GIZ الجزائر

رسم : نادية ذهب

قام بتتبع إنجاز هذه الحكاية السيدات جهيدة بوخالفة، ماريا آنا رودريغيز وكيريتي روجاني (الوكالة الألمانية للتعاون الدولي) وليليا بنزيد (مرصد الصحراء والساحل).

تعود محتويات هذا المنشور إلى مسؤولية الوكالة الألمانية للتعاون الدولي ومرصد الصحراء والساحل.

هذا المنشور للاستخدام غير الهادف للربح، وبالتالي لا يمكن بيعه

بسم الله بديت وعلى النبي صليت, طرحت النية وحكيت وعلى الخرافة ما تخليت , نحكي لكم حكاية واسمعوها معايا.

كان يا مكان في قديم الزمان حكاية تحكيها الجدة للأحفاد قبل ما تنام
يحكى أنه في زمن بعيد كان هناك شيخ اسمه النعمان. كان الشيخ النعمان يعيش في قرية يقتات أهلها من الحدائق المزروعة من كل الخيرات. كان الشيخ النعمان معروف عنه بأنه من الحكماء الكبار، مشهور بالفطنة ويسافر بين البلدان. في يوم من الأيام ,سمع الشيخ النعمان براح ملك القرية يبرح ويقول : يا أهل القرية! يقول لكم الملك، حدائقنا و مزارعنا سوف تجف وتنشف و يعد من يأتيه بالحل لهذه المشكلة سيكافئه ويعينه وزيرا على كل الحدائق المزروعة.
ذهب كبار القرية وحكماؤها بما فيهم الشيخ النعمان الى الملك وبدأ كل واحد يطرح الحل الذي يراه مناسبا. لكن الملك لم يقتنع بكل تلك الحلول وعدما جاء دور الشيخ النعمان ليقدم فكرته قال : أنا أحتاج لفترة لا تقل مدتها عن سبعة شهور وبإذن الله سوف آتيكم بالحل الأكيد و المفيد. وافق

الملـك عـلى طلـب الشـيخ النعـمان الحكيـم. وسـافر الشـيخ النعـمان مـن القريـة. بعـد مـرور سـبعة شـهور, بعـث الملـك الحـراس الى بيـت النعـمان ليأخـذوا منـه الحـل. طـرق الحـراس البـاب ففتحـت لهـم زوجـة النعـمان وأخبرتهـم بـأن الشـيخ النعـمان لم يرجـع مـن سـفره حتـى الآن. لمـا علـم الملـك بالخـبر , عضـب جـدا وأصـدر أمـرا بحرمـان عائلـة الشـيخ النعـمان مـن جميـع حقوقهـا.

مـرت أعـوام عديـدة :عـام بعـد عـام حتـى أتى العـام السـابع و عـاد الشـيخ النعمان مـن سـفره. لمـا رآه الحـراس سـارعوا و أخـبروا الملـك برجـوع الشـيخ النعـمان فآمرهـم بإحضـاره في الحـال لكـن الشـيخ النعـمان، كان غاضبـا بسـبب تشريـد الملـك لعائلتـه ورفـض الذهـاب معهـم و قـال : أبلغـوا الملـك بـأن الشـيخ النعـمان يقـول: « مـن بـدل الحـاضر بالغائـب كان كبـير المصائـب ».

لمـا سـمع الملـك كلام الشـيخ النعـمان قـرر أن يذهـب اليـه بنفسـه، و لمـا وصـل قـال لـه الشـيخ النعـمان : سـافرت لأعـوام و أعـوام أبحـث عـن وسـيلة لإنقـاذ المدينـة مـن الجفـاف والجـوع و تركـت عائلتـي أمانتـا لديـك و كان جـزائي أنـك آمـرت بتشريدهـم. وأضـاف قائـلا : لقـد وجـدت الحـل لكـن هنـاك شرط لتأخـذه قال الملك : ما هو شرطك

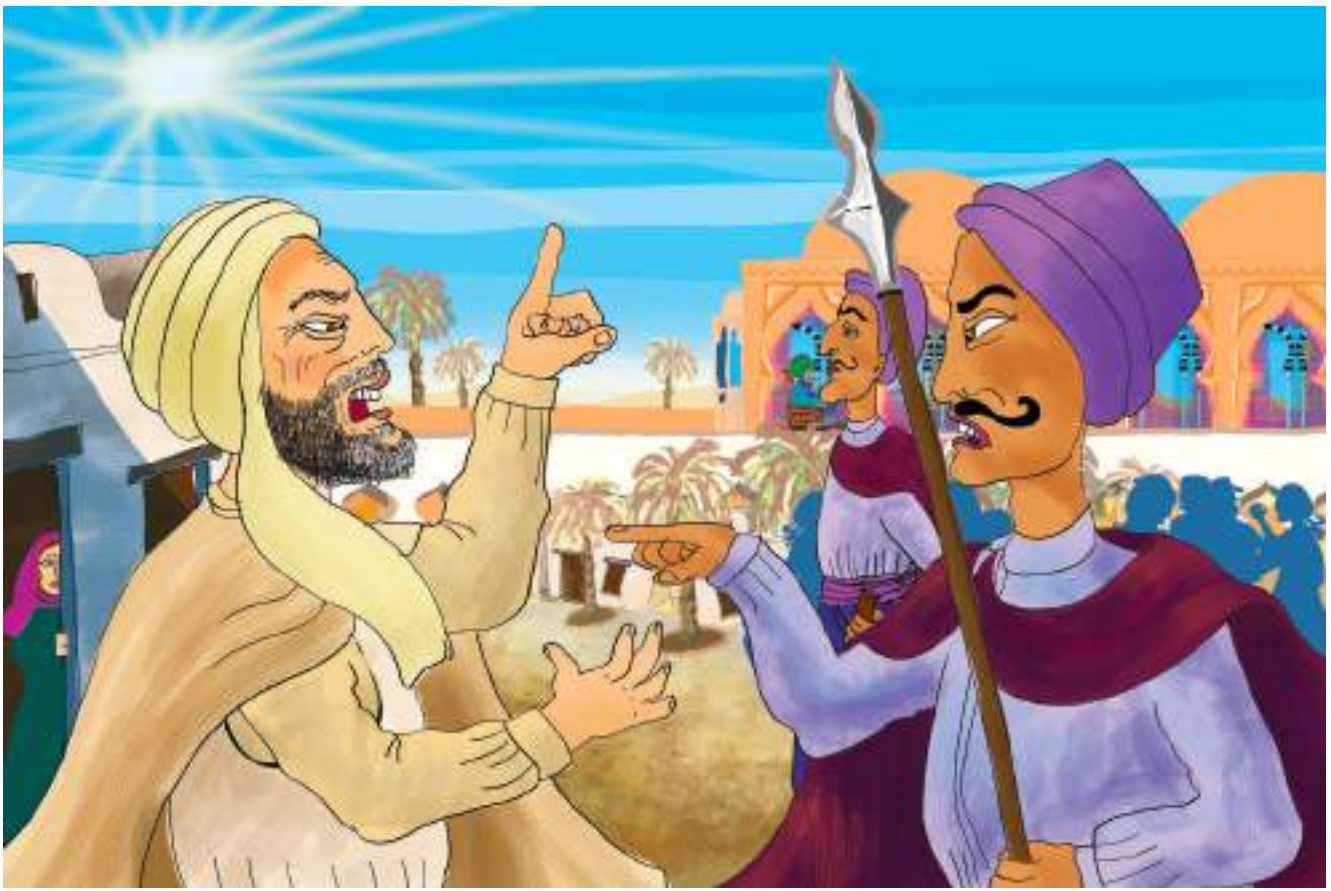

قـال الشـيخ النعـمان : شرطـي هـو حـل اللغـز الآتي فهـو يتضمـن حـل مشـكلة الجفـاف في المدينـة

قال الملك : ما هو لغزك

ردَّد حينها الشيخ النعمان بمثل شعبي و قال :

« شَايِبنَا لِعْبُكِّي و بنَاتُه عبُكِّيات

جالس على الأرض مِتَكِّي وِبنَاتَه سائبات »

قـال لهـم هـذا شرطـي فكـروا واعطـوني الحـل بعـد سـبعة أيـام ,سـبعة شـهور أو سبعة سنوات لديكم الوقت الكافي.

مـرت سـبعة أيـام وسـبعة ليـالي لم ينـم فيهـا الملـك وهـو يفكـر في حـل للغـزو نهـض في اليـوم الثامـن يـصرخ قائـلا: لقـد وجـدت الحـل وأصر أن يذهـب بنفسـه للشـيخ النعـمان.

عنـد وصـول الملـك لبيـت الشـيخ النعـمان فتحـت لـه زوجتـه وأخبرتـه بـأن الشـيخ النعـمان قـد تـوفي.

حـزن الملـك وأحبـط، لكـن زوجـة الشـيخ النعـمان قالـت بأنـه تـرك لـه وصيـة تقـول :

سبع بلدان وسبع ويدان
الذي زرعته تحصده والذي إقتصدته تجده
صغري يعمل لكبري وكبري يعمل لقبري
الطويلة تقضي حاجتها والقصيرة تنادي جارتها لمساعد تها
وصروا (بمعنى اقتصدوا) تلاقوا ما تحلوا (بمعنى ما تصرفوه)
لم يفهم الملك إلا شيئا واحدا من الوصية و هو انه يجب أن يسافر وأن يقطع سبعة وديان متتالية
آمر الملك الحاشية بتجهيز السفر، وسافروا جميعا.
وهم في الطريق وصلوا إلى الواد الأول وكان هذا الواد ناشف وفي البلدة المجاورة لهاذا الوادي ملك ظالم يشح في الماء على أهلها وكان أغلبهم مشرِّدون
عندها تذكر الملك قول الشيخ النعمان: « من بدل الحاضر بالغائب كان كبير المصائب ». آمر بعض الحراس بأخذ العائلات المشردة الى مدينته والاهتمام بهم.
ومضى الملك يواصل سفره إلى الواد الثاني الذي كان أيضا جافا تماما, قال الملك : ما تبقى في هذا الواد إلاَّ حجارته وواصلوا الطريق الى الواد الثالث

الـذي كان بـه شـيخ جالـس جنـب حـوض ناشـف يقـول : « الـذي زرعتـه تحصـده والـذي إقتصدتـه تجـده »

علـم الملـك أنـه يسـير في الطريـق الصحيـح وواصلـوا السـفر حتـى وصلـوا الى الـواد الرابـع الـذي كان ناشـفا أيضـا ووجـدوا أهـل المدينـة يبحثـون عـن حلول فقـرروا أن ينضمـوا للملـك في رحلتـه. وصلواجميعهم إلى الـوادي الخامس فوجـدوا بالقرب منه بنـت صغـيرة تبـكي. سـألها الملـك عـن سـبب بكائهـا قالـت : جـدتي تعايـرني بقـصر طـولي و تقـول : « الطويلـة تقـضي حاجتهـا والقصـيرة تنـادي جارتهـا لتسـاعدها »

طلـب الملـك أن يـرى الجـدَّة و سـألها عـن معنـى المقولـة. قالـت الجـدَّة : هنـاك بـلاد مجـاورة يعيـش أهلهـا في خـير كثـير وكلـما قصدناهـم لطلـب المسـاعدة ملكهـم يـردد علينـا هـذه المقولـة. قـرَّر الملـك الذهـاب لهـاذا البـد المجاور لعلـه يجد الحل لمشـكلته. لمـا وصلـوا إلى الـوادي السـادس وجـدوا فيـه قليل مـن الماء وعـلى حافته مزرعـة صغيرة يتوسـطها كـوخ. كانـت هناك امرأة تشـتغل في هذه المزرعة . اسـتقبلت المـرأة الضيوف و أخبرتهـم بـأن زوجهـا بنـى هـذا البيـت وزرع حوله الحديقة ليعيشـوا منهـا وكان دائما يـردد : « صغـري يعمـل لكـبري وكـبري يعمـل لقـبري »

عندهـا علـم الملـك أن هـذه المـرأة هـي زوجـة الشـيخ النعـمان وتأكـد بأنـه إقـترب

مـن الحـل. شـكر الملـك الزوجـة وتابـع الطريـق حتـى وصـل إلى الـوادي السـابع فانبهـر ومـن معـه بالـوادي الـذي كان مـاؤه يجـري بوفـرة وكان عـلى ضفافـه شـيخ درويـش يمـشي عـلى طـول الـوادي و ينـادي: «وصروا (بمعنـى اقتصـدوا) تلاقـوا مـا تحلـوا (بمعنـى مـا تصرفـوه) »

سـار الملـك وراء الدرويـش حتـى وصلـوا إلى مزرعـة كبـيرة فيهـا جميـع أنـواع الأشـجار والثـمار و كأنهـا جنـة عـلى الأرض انبهـر الملـك وتعجـب كثـيرا و سـأل أهلهـا عـن سر هـذه الجنـة فأخـذوه الى الحاكـم.

رد الحاكـم عـلى سـؤال الملـك قائـلا : « أتمنـى أن يجعلنـا اللـه غابـة والنـاس تأتينـا حطابـة » و أضـاف: اتبعـوني. سـار الحاكـم معهـم حتـى وصـل بهـم إلى حـوض كبـير و ضخـم وكانـت خارجـة منـه سـواقي عديـدة. عندهـا فهـم الملـك وعـرف حـل لغـز الشـيخ النعـمان الـذي يقـول فيـه :

« شَايِبنَا لِعْبُكِّي و بنَاتُه عبُكِّيات

جالس على الأرض مِتَكِّي وِبنَاتَه سائبات »

حينهـا أعلمهـم حاكـم المدينـة و قـال : هـذا كلـه كان بفضـل فكـرة شـيخ حكيـم جاءنـا مـن بـلاد بعيـدة. جربنـا الحـل الـذي اقترحـه علينـا ووصلنـا إلى هـذا الخـير

وبعد ما رأى هذا الشيخ النتيجة رجع إلى بلاده حتى يدل أهلها على الحل قال الملك: هذا هو الشيخ النعمان. عرف الملك حل اللغز و عاد إلى مدينته ليطبق الطريقة المثلى للحفاظ على الماء وأمر ببناء أحواض تخرج منها سواقي وبعد سنوات قليلة أصبحت مدينتهم خضراء تزخر بكل انواع الأشجار المثمرة و أصبح الماء متوفر وعاش السكان في هناء و رخاء بسبب حكمة الملك و حفاظه على الماء إلى يومنا هذا.

هذه حكايتي يا صغار أتمنى أنكم أخذتم منها العبر والصلاة والسلام على الحبيب المختار.

حكايات مغربية

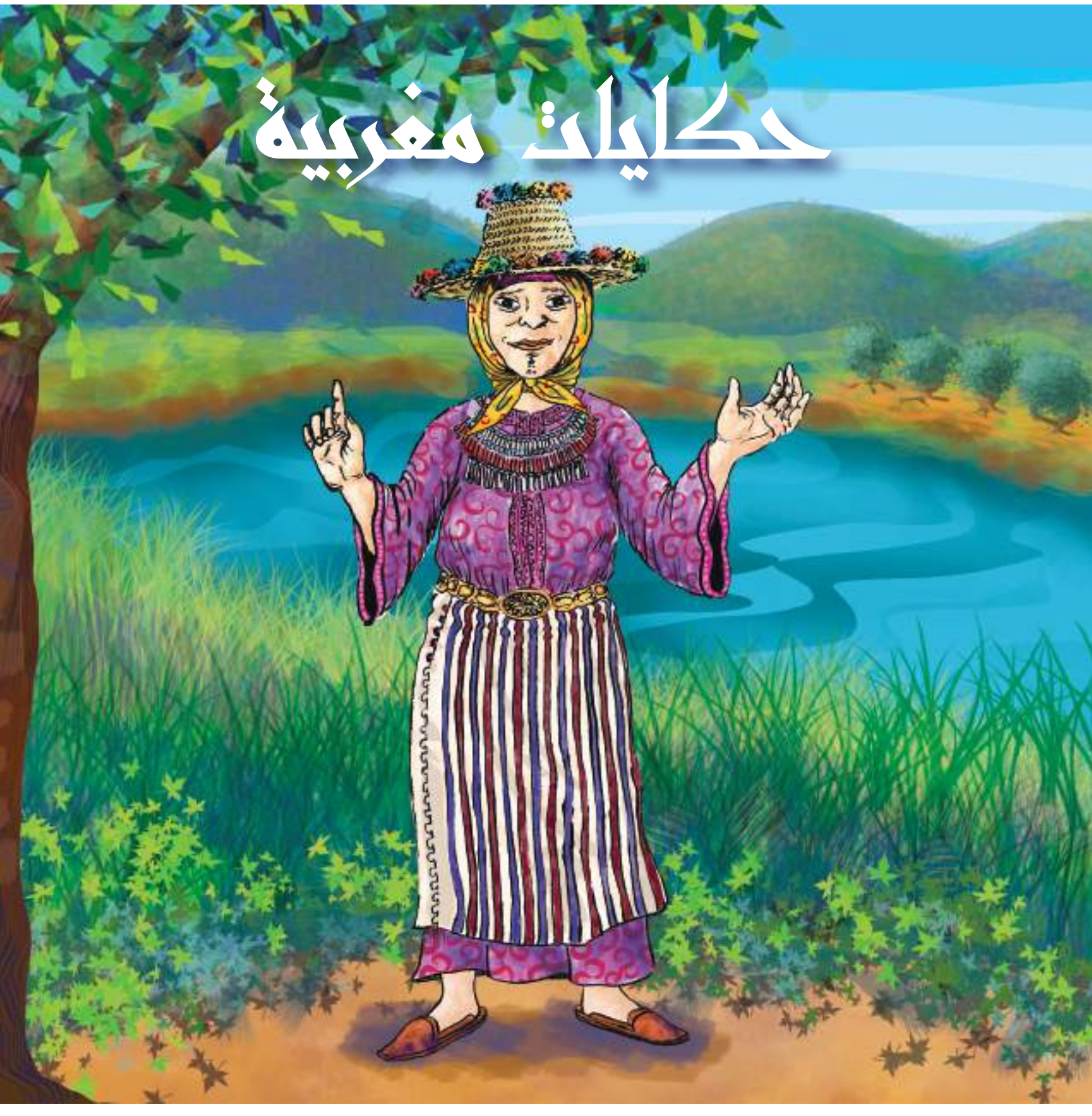

مصيرينة ورميمينة
(قطعة من الامعاء ورمانة)

هذه الحكاية مستوحاة من الحكايات التقليدية المستخلصة من التراث المغربي لمدينة تاونات، وهي جزء من سلسلة الحكايات الجديدة حول الماء في المغرب العربي (الجزائر، المغرب و تونس).

كُتِبَت هذه الحكاية من طرف مجموعة من النساء المتطوعات في إطار ورشة الكتابة التشاركية التي نظمها مشروع « حكواتيات مغاربيات : فاعلات التغيير للحفاظ على الماء »، وذلك في افريل 2017 م بمدينة تاونات.

ساهمت ف كتابة هذه الحكايات، تحت تأطير السيدة أمال خزيوة، السيدات سمية العزوزي، كوثر الأزرق، نعيمة بوفتيلة، بهيجة كلاطي، فاطمة لغانة، فطيطم الصنهاجي، سميرة سراتل، فريدة الطنجي، وعائشة طارق.

مراجعة النص : جهيدة بوخالفة، مستشارة تقنية GIZ الجزائر

رسم : الشاعر نور

قام بتتبع إنجاز هذه الحكاية السيدات فرح العوفير (كتابة الدولة المكلفة بالماء، المغرب)، مريم المدني وسارة درويش (الوكالة الألمانية للتعاون الدولي، المغرب) بمساهمة ماريا آنا رودريغيز وكيريتي روجاني (الوكالة الألمانية للتعاون الدولي، تونس) وليليا بنزيد (مرصد الصحراء والساحل).

تعود محتويات هذا المنشور إلى مسؤولية الوكالة الألمانية للتعاون الدولي ومرصد الصحراء والساحل.

هذا المنشور للاستخدام غير الهادف للربح، وبالتالي لا يمكن بيعه

كان يـا مـكان في قديـم الزمـان، كان هنـاك رجـل توفيـت زوجتـه تاركـةً لـه ابنـة. بعـد فـترة مـن الزمـن، تـزوج الرجـل بامـرأة أخـرى وأنجبـت لـه هـي أيضـاً ابنـة.

مـرت أيـام وأتـت أيـام أخـرى وحـلّ عيد الأضحـى. اعتنـت الزوجـة بابنتها وألسـبتها لبـاس العيـد وأطعمتهـا، أمـا ابنـة زوجهـا فأعطتهـا أمعـاء كبـش وأمرتهـا بغسـلها. أخـذت البنـت دلويـن، وضعـت أمعـاء الكبـش في دلـو وذهبـت إلى الينبـوع. مـلأت دلـوا بالمـاء وابتعـدت. حفـرت قليـلا في الـتراب ودفنـت الفضـلات هنـاك. نظفـت الأمعـاء بالمـاء التـي في الدلـو وابتعـدت مـن جديـد لتتخلـص مـن المـاء الملـوث. أخـيراُ عـادت ومـلأت الدلـو بمـاء الينبـوع لتعـود بـه إلى المنـزل.

فجـأة ظهـرت مـن الينبـوع سـلحفاة وقالـت لهـا : « كـما حافظـت عـلى ميـاه العين ولم تلوثيهـا ومـن ثـم ابتعـدت لتنظيـف أمعـاء الكبـش، سـوف أجازيـك. أعطنـي قطعـة مـن أمعـاء الكبـش وسـأعطيك رمانـة. »

فأجابـت الفتـاة السـلحفاة : « إذا أعطيتـك قطعـة مـن أمعـاء الكبـش، سـوف تضربنـي زوجـة أبي. »

قالـت لهـا السـلحفاة عندهـا : « أعطنـي قطعـة مـن أمعـاء الكبـش وسـأعطيك رمانـة. سـأحميك كـما حميـت ميـاه الينبـوع، لا تخـافي. »

قالـت الفتـاة مـن جديـد : « إذا أعطيتـك قطعـة مـن أمعـاء الكبش، سـوف تضربني زوجة أبي. »

كررت السلحفاة : « أعطني قطعة من أمعاء الكبش وسأعطيك رمانة، ثقي بي. »

ناولـت الفتـاة السـلحفاة قطعـة مـن أمعـاء الكبـش وأعطتهـا الأخـيرة رمانـة ثـم اختفـت في المـاء. كانـت البنـت قـد انتهـت لتوهـا مـن أشـغالها فجلسـت لتـأكل الرمانـة. لكـن الرمّانـة لم تكـن فاكهـة حقيقيـة إذ كان بداخلهـا تكشـيطة (فسـتان تقليـدي) وخفـين وحـزام ذهبـي وعقـد مـن اللؤلـؤ وأقـراط وسـوار وخواتـم أنيقـة. ارتـدت كل شيء وكانـت السـعادة تغمرهـا، ثـم أخـذت الدلويـن وعـادت إلى بيتهـا.

في طريقهـا إلى البيـت، رآهـا ابـن السـلطان وأعجـب بجمالهـا. تبعها دون أن يشـعر. ظـل يتبعهـا إلى أن رأى البيـت الـذي دخلـت إليـه. طـرق البـاب، فتـح الوالـد وأدرك ان الطـارق ابـن السـلطان، فسـأله :

« ماذا تريد يا بني؟ »

أجابه ابن السلطان : « يا سيدي، جئت لأطلب يد ابنتك. »

قال له : « انتظر قليلا لكي اسألها. »

ذهب الرجل عند ابنته وسألها : « يا ابنتي، إن ابن السلطان يطلب يدك للزواج .»

أجابته : « نعم ،أريد أن أتزوج بابن السلطان »، ومن سيرفض ابن السلطان ؟

بدأت تحضيرات الزفاف، فغضبت زوجة الأب، التي قالت : « لما تتزوج هي بابن السلطان ولا تتزوج به ابنتي؟ »

أدخلت الخالة ابنة زوجها غرفة وأغلقت الباب عليها، ثم أدخلت ابنتها غرفة أخرى. ألبستها نفس لباس العروس وزيّنتها بنفس الحناء، تاركة كل فتاة وحدها في غرفة منفصلة. عندما حضر أهل العريس لاصطحاب العروس، دخلت الزوجة عند العروس وقالت لها :

« تعالي يا ابنتي لأمشط شعرك. »

تظاهـرت الخالـة بأنهـا تمشـط لهـا شـعرها، لكنهـا غرسـت دبوسـاً في شـعرها، فتحولـت الأخـيرة إلى حمامـة وهربـت مـن النافـذة. أخـذت الزوجـة ابنتهـا مـن الغرفـة وقدمتهـا لأهـل العريـس عـلى أنهـا هـي العـروس، فأخذهـا أهـل العريـس معهـم مـن دون أن يتعرفـوا عليهـا، لأن وجههـا كان مغطـى.

في اليـوم التـالي، كانـت تلـك الحمامـة في بسـتان قـصر السـلطان. كان البسـتان يعـجّ بالخـدم؛ كان هنـاك مـن يغـرس النبـات ومـن يسـقيها ... الجميـع مشـغول. حطـت الحمامـة فـوق شـجرة وبـدأت تغنـي : « ابـكي، ابـكي يـا شـجر، ابـكي يـا حجـر وابـكي يـا سـمك في قعـر البحـر. »

عندمـا بـدأت الحمامـة بالغنـاء، بـدأ المطـر يتسـاقط. توقـف الخـدم عـن عملهـم. رآهـم ابـن السـلطان وناداهـم : « مـا الـذي يحـدث؟ »

اجابه أحدهم « اَمن علينا يا مولاي وسأخبرك. »

قال له : « عليك الامان. »

قال له الخادم : « هناك حمامة فوق شجرة. ما أن بدأت تغني، حتى بدأالمطر يتساقط.»

أجابه : « خذني لأرى. »

توجـه ابـن السـلطان برفقـة الخـادم إلى الحديقـة ومـا إن رأتـه الحمامـة، حتـى بـدأت بالغنـاء : « اضحـك اضحـك يـا شـجر، اضحـك اضحـك يـا حجـر، اضحـك اضحـك يـا سـمك في قعـر البحـر. »

في هـذه اللحظـة بالـذات، أزهـر كل شيء واشرقـت الشـمس مـن جديـد وجفـت التربـة. تعجـب ابـن السـلطان فاقـترب مـن الحمامـة. مـد لهـا يـده فاقتربـت منـه. بـدأ يداعـب رأسـها وسـقط الدبـوس مـن مكانـه فتحولـت الحمامـة إلى الفتـاة الجميلـة التـي أعجـب بهـا اليـوم الأول. قـال لهـا : « مـا الـذي حـدث لـك؟ مـن فعـل بـك هـذا ؟ »

روت له القصة فقال لها : « حسنا، أنت من سيعاقبهم. ما هو قرارك ؟ »

أجابتـه: « أريـد مـن زوجـة أبي وابنتهـا أن تغـادرا هـذا البلـد وأن يقطـع رأسـهما في حـال عودتهـما. »

قال لها : « حسنا. »

حكـم عليهـما بمغـادرة البلـد وبقطـع رأسـيهما في حـال عودتهـما. عاشـت الفتـاة سـعيدة مـع ابـن السـلطان.

ذهبت حكايتي من واد لواد، أما أنا فبقيت معالأجواد.

عائشة الصبورة

هذه الحكاية مستوحاة من الحكايات التقليدية المستخلصة من التراث المغربي لمدينة تاونات، وهي جزء من سلسلة الحكايات الجديدة حول الماء في المغرب العربي (الجزائر، المغرب و تونس).

كُتِبَت هذه الحكاية من طرف مجموعة من النساء المتطوعات في إطار ورشة الكتابة التشاركية التي نظمها مشروع « حكواتيات مغاربيات : فاعلات التغيير للحفاظ على الماء »، وذلك في افريل 2017 م بمدينة تاونات.

ساهمت ف كتابة هذه الحكايات، تحت تأطير السيدة أمال خزيوة، السيدات سمية العزوزي، كوثر الأزرق، نعيمة بوفتيلة، بهيجة كلاطي، فاطمة لغانة، فطيطم الصنهاجي، سميرة سراتل، فريدة الطنجي، وعائشة طارق.

مراجعة النص : جهيدة بوخالفة، مستشارة تقنية GIZ الجزائر

رسم : Abdel8

قام بتتبع إنجاز هذه الحكاية السيدات فرح العوفير (كتابة الدولة المكلفة بالماء، المغرب)، مريم المدني وسارة درويش (الوكالة الألمانية للتعاون الدولي، المغرب) بمساهمة ماريا آنا رودريغيز وكيريتي روجاني (الوكالة الألمانية للتعاون الدولي، تونس) وليليا بنزيد (مرصد الصحراء والساحل).

تعود محتويات هذا المنشور إلى مسؤولية الوكالة الألمانية للتعاون الدولي ومرصد الصحراء والساحل.

هذا المنشور للاستخدام غير الهادف للربح، وبالتالي لا يمكن بيعه

كان يـا مـكان في قديـم الزمـان، كان هنـاك ولـد وبنـت. تـوفي والداهـما وتـركا لهـما القليـل مـن المـال. كانـت البنـت أكـبر مـن أخيهـا سـنا وهـي مـن قـام بتربيتـه، إسـمها عائشـة.

ذات يـوم سـألت البنـت شـقيقها لتعـرف إن كان قـد نضـج، قالـت لـه : « يـا أخـي، لـو تـرك لـك والـداك مـالا مـا كنـت لتفعـل بـه ؟ »

أجابها : « سأشتري به كرة لألعب بها. »

ففكرت : « لا يزال أخي طفلا لا يفقه شيئا. »

انقضـت فـترة مـن الزمـن وسـألته ثانيـة : « لـو تـرك لـك والديـك مـالا مـا كنـت لتفعـل بـه ؟ »

أجابها : « أذهب إلى الحج، أو أتزوج »

قالت حينها : « أصبح أخي الآن ناضجا »

بـدأت الأخـت بالبحـث عـن زوجـة لأخيهـا. بحثـت كثـيرا وزوجتـه في نهايـة المطـاف بامـرأة اتضـح أنهـا غولـة و هـذا مـا لم تكـن تعلـم بـه عائشـة. حـضروا حفـل الزفـاف و في اليـوم التـالي أكلـت المـرأة بقـرة، فسـألها الـزوج : « أيـن هـي البقـرة؟»

أجابته : « لقد أكلتها أختك عائشة » و صدقها.

مـر الوقـت وهـذه المـرة أكلـت الزوجـة ماعـزاً. جـاء الـزوج و سـألها : « أيـن هـو الماعـز ؟ »

أجابته : « لقد أكلته أختك عائشة. »

بعـد فـترة مـن الزمـن، أنجبـت الغولـة ولـداً، ثـم أكلتـه. سـألها زوجهـا : « أيـن هـو ابنـي ؟ »

أجابته : « لقد أكلته أختك عائشة. »

كان الرجـل قـد صـبر عـلى فقـدان البقـرة و الماعـز، لكنـه عجـز عـن الصـبر عـلى فقـدان ابنـه. أخـذ أختـه إلى الغابـة لتهيـئ الحطـب مـن دون أن يتفـوه بـأي كلمـة. انتظرهـا إلى ان مـدت يديهـا لتحمـل الحطـب عـلى ظهرهـا وقطعهـما. قـال لهـا : « لقـد كنـت صبـورا عندمـا أكلـت البقـرة، قلـت أن والدينـا تركهـا لنـا.و كنـت صبـورا عندمـا أكلـت الماعـز، قلـت أن والدينـا تـركاه لنـا. لكـن لم يكـن لـك أي حـق بـأن تـأكلي ولـدي. »

لم يسـمح الأخ لعائشـة بالحديـث وتركهـا في الغابـة. بـدأت عائشـة تبـكي وتغنـي : « آه يـدي، أكلـت البقـرة وقالـت إنهـا عائشـة. آه يـدي، أكلـت الماعـز قالـت إنهـا عائشـة. آه يـدي، أكلـت ابنـه وقالـت إنهـا عائشـة آه يـدي ! »

بقيت هناك في الغابة إلى أن التقت بفقيه سألها : « ما بك؟ ما الذي حدث لك؟ من قطع يديك ؟ »

حكت له عائشة قصتها فقال لها الفقيه : « هل تقبلين الزواج بي ؟ »

قالت له : « حسنا. »

ذهبت عائشة معه وصنع لها يدين من القصب وعاشت معه. في يوم من الأيام، ذهب الفقيه إلى بلاد بعيدة لكي يدرس. في هذه الأثناء أنجبت عائشة توأماً، ولداً وبنتاً. قصد أحد رجال القرية الفقيه و قال له : « إن زوجتك أنجبت كلبين. » صدقه الفقيه فأجابه: «إذا أنجبت كلبين فالتغادر القرية ولتأخذهما معها القرية ولتترك اليدين اللتين صنعتهما لها. »

عندما أخبر أهل القرية عائشة بقرار الفقيه أجابتهم : « انتظروا لآخذ ابنائي. » وضعت ابنها خلف ظهرها والبنت بالقرب من صدرها. تركت اليدين القصبيتين اللتين صنعهما الفقيه وذهبت بمحاذاة النهر. شعرت عائشة بالعطش وحين انحنت لتشرب، سقط ابنها في الماء ثم ابتعد و وبدأت المياه تسحبه ولم يكن ممكن لعائشة أن تمسكه به. فجرت خلفه وهي تبكي. ناداها صوت : « مدي يديك يا عائشة الصبورة، مدي يديك و سوف تنموان. »

مـدت يديهـا ونمتـا في الحـال وكأنهـما مزينتـان بالحنـاء. أمسـكت ابنهـا، قبلتـه وحملتـه عـلى صدرهـا، ملؤهـا السـعادة. اسـتقت بعـض المـاء مـن النهـر وشربـت. عنـد حـدوث هـذه المعجـزة قالـت عائشـة : « سـوف أحمـي هـذا النهـر. كـما أعطـاني اللـه يديـن، سـأبقى قربـه وسـأحميه. »

بنـت منـزلا صغـيرا قـرب النهـر وكلـما أتى أطفـال لأخـد المـاء تقـول لهـم : « لا تبـذروا ميـاه النهـر يـا أبنـائي، ولا تلوثـوه، فهـو الـذي يحيينـا، انظـروا إلي يـداي، كانتـا مقطوعتـين، و بـإذن اللـه مـا إن وضعتهـما في النهـر حتـى نمتـا مـن جديـد ».

بقيـت عائشـة قـرب النهـر وأصبحـت حارسـته. في يـوم مـن الأيـام، جـاء رجـل ليسـتقي المـاء. ورأى كيـف أنهـا تعتنـي جيـدا بالنهـر. قـال لهـا : « أريد أن اسـاعدك وأن أرعـى هـذا النهـر أيضـا. فهـل تتزوجـين بي ؟ »

قالت له : « حسنا. »

قـام الزوجـان بتوسـيع المنـزل الـذي بنتـه عائشـة. عاشـا هنـاك قـرب النهـر، يرعيانه مـع ولديهـما. في يـوم مـن الأيـام دق متسـول عـلى بـاب المنـزل. تعرفـت عليـه عائشـة فـوراُ عـلى أنـه شـقيقها؛ أكلـت الغولـة كل مـا يملـك ولم يتبـق لـه شيء.

قالـت عائشـة لزوجهـا : « أدخلـه. »

أطعموه، وحين انتهوا من الأكل طلب منها ابنيها : « أمي، إروي لنا حكاية. بدأت عائشة تروي لهما قصة حياتها؛ كل الذي حدث مع أخيها وكل ما مرت به. عائشة تتكلم وأخوها يغرق في الأرض من شدة خجله. عائشة تتكلم وهو يغرق، حتى كاد أن يختفي تماما، بحيث لم يعد ظاهراً فوق الأرض سوى لحيته. سحبته عائشة بقوة. طلب الرجل من أخته أن تسامحه. سامحته وخرج من باطن الأرض وعاش معها هي و زوجها وأبنائهما.

ذهبت حكايتي من واد لواد، أما أنا فبقيت مع الأجواد.

السبع قرود والسبع أفراد

هذه الحكاية مستوحاة من الحكايات التقليدية المستخلصة من التراث المغربي لمدينة تاونات، وهي جزء من سلسلة الحكايات الجديدة حول الماء في المغرب العربي (الجزائر، المغرب و تونس).

كُتِبَت هذه الحكاية من طرف مجموعة من النساء المتطوعات في إطار ورشة الكتابة التشاركية التي نظمها مشروع « حكواتيات مغاربيات : فاعلات التغيير للحفاظ على الماء »، وذلك في افريل 2017 م بمدينة تاونات.

ساهمت ف كتابة هذه الحكايات، تحت تأطير السيدة أمال خزيوة، السيدات سمية العزوزي، كوثر الأزرق، نعيمة بوفتيلة، بهيجة كلاطي، فاطمة لغانة، فطيطم الصنهاجي، سميرة سراتل، فريدة الطنجي، وعائشة طارق.

مراجعة النص : جهيدة بوخالفة، مستشارة تقنية GIZ الجزائر

رسم : Abdel8

قام بتتبع إنجاز هذه الحكاية السيدات فرح العوفير (كتابة الدولة المكلفة بالماء، المغرب)، مريم المدني وسارة درويش (الوكالة الألمانية للتعاون الدولي، المغرب) بمساهمة ماريا آنا رودريغيز وكيريتي روجاني (الوكالة الألمانية للتعاون الدولي، تونس) وليليا بنزيد (مرصد الصحراء والساحل).

تعود محتويات هذا المنشور إلى مسؤولية الوكالة الألمانية للتعاون الدولي ومرصد الصحراء والساحل.

هذا المنشور للاستخدام غير الهادف للربح، وبالتالي لا يمكن بيعه

كان يـا مـكان في قديـم الزمـان، كان هونـاك شـقيقان. الأول أب لسـبعة أولاد والثاني أب لسـبعة بنـات. عندمـا كان الشـقيقان يقصـدان المسـجد للصـلاة كان أب الأولاد يقـول لأخيـه أمـام النـاس : « انهـض يـا والـد القـروح السـبع ليجلـس والـد السـبع أفـراح. »

كان الرجـل (والـد السـبع فتيـات) يعـود إلى بيتـه حزينـا ويـروي لزوجتـه مـا حـدث : « يـأتي أخـي أمـام النـاس ويجرحنـي بقولـه انهـض يـا والـد القـروح السـبع ليجلس والـد السـبع أفـراح » والحكايـة تتكـرر كل يـوم.

كانـت ابنتـه الصغـرى تتنصـت عليهـم. حزنـت جـدا لحـال والدهـا فقالـت لوالدتها : « قـولي لوالـدي، في المـرة القادمـة التـي يقـول لـه عمـي، « انهـض يـا والـد القـروح السـبع ليجلـس والـد السـبع أفـراح » فليجبـه، « لتذهـب أصغـر قرحـة عنـدي مـع أكـبر فـرح عنـدك لبـلاد بعيـدة وسـنرى مـن سـيقوم بفعـل حسـن ومـن سـيرتكب خطأ . »

وهـذا مـا حـدث بالفعـل. في اليـوم التـالي قصـد الرجـل المسـجد. أتى شـقيقه وقـال لـه : « انهـض يـا والـد القـروح السـبع ليجلـس والـد السـبع أفـراح. »

أجابـه الأخ : « إن كنـت أنـا أبـأً لسـبع قـروح وأنـت لسـبع أفـراح، فلتذهـب أصغـر قروحـي مـع أكـبر أفراحـك لبـلاد بعيـدة وسـنرى مـن سـيقوم بفعـل حسـن ومـن سـيرتكب خطـأ. »

فردّ : « حسنا. »

عاد الرجل إلى بيته وأطلع زوجته على الاتفاق فقبلت الأخيرة. حضّر الزوجان لوازم السفر وجهزا الخيل للأولاد. أنطلقت الفتاة مع ابن عمها ومشيا مسافة طويلة حتى وجدا نفسهما أمام واديين، الأول أبيض والثاني أسود.

سألت الفتاة : « أي طريق ستأخذ يا ابن عمي ؟ »

فأجابها : « سأسير في الوادي الأبيض، بيّضها الله عليّ وعلى عائلتي. أما أنت فمجرد قرحة، سيري في الوادي الأسود، كحّلها الله عليك وعلى عائلتك »

قالت له : « حسنا. »

في طريقها، قال لها النهر : « نظفيني » وفعلا قامت بتنظيفه وتنقيته، حيث أنه كان أسوداً بسبب مرجان الزيتون. تابعت الفتاة سيرها وصادفت رجلاً مسناً قال لها : « يا بنيتي، إضربيني على رأسي، » فقصّت شعره.

قال لها : « خذي هذه الملابس ومزقيها، » فقامت بخياطتها.

قال لها : « خذي هذه الملابس ولطخيها، » فقامت بتنظيفها.

قال له ا: « خذي هذا الوعاء واملئيه بالطين » فطهت له طعاما.

قال لها : « خذي هذا الإبريق واكسريه » فأحضرت له الماء.

فأجابها : « بارك الله فيك يا بنيتي. سأجازيك كما نظفت النهر. أسلكي الطريق الذي يؤدي إلى الغابة. أطعمي خيلك بما يكفي ليوم ثم اتركيه في

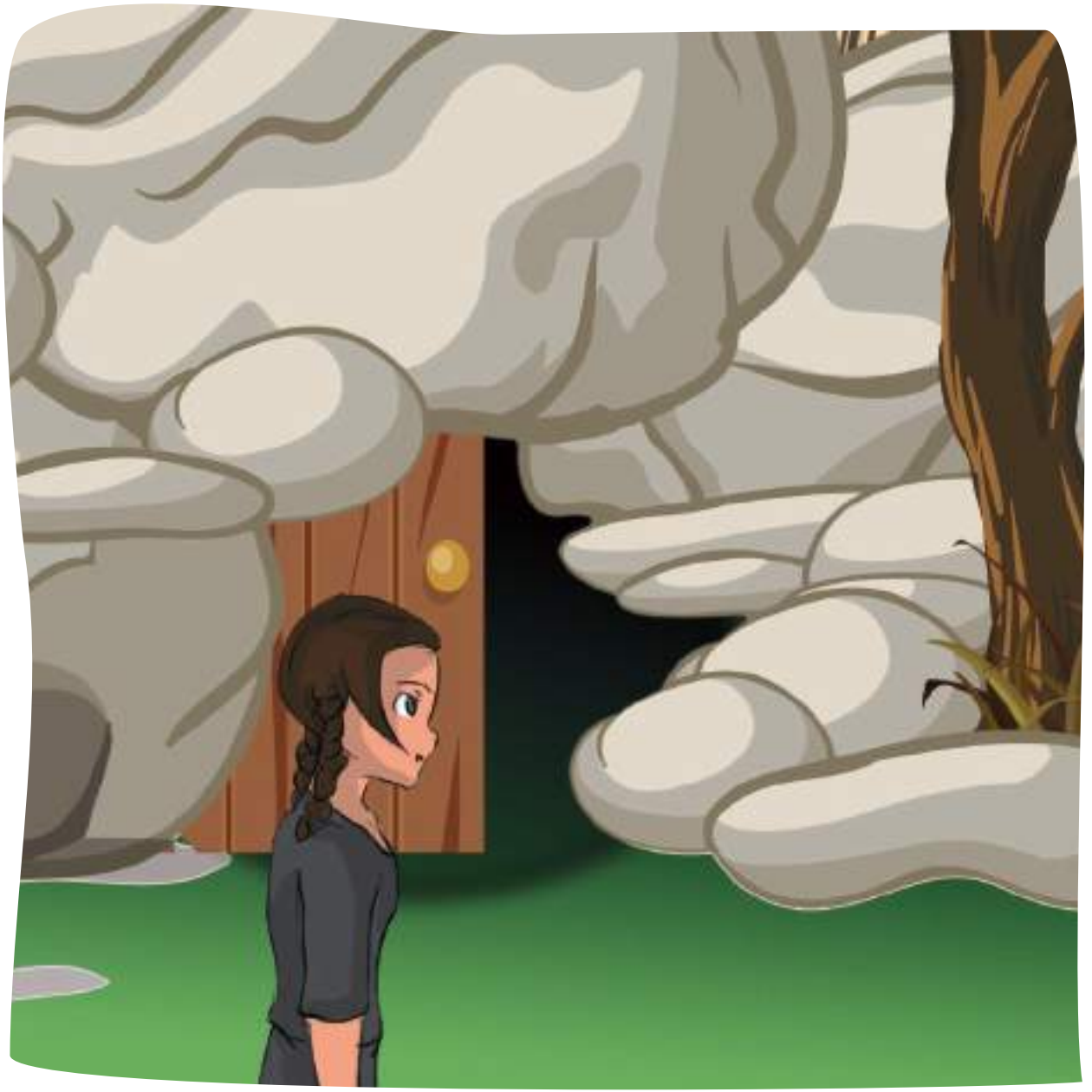

الغابـة كي لا يحـدث ضجـة. تابعـي سـيرك إلى أن تجـدي منـزلاً صغـيراً ذا بـاب صغير. قبـل الدخـول قـولي: «افتـح يـا قزيمـرة» وسـتدخلين. بعـد ذلـك قـولي : « اغلـق يـا قزيمـرة » وسـيغلق البـاب. في إحـدى الغـرف، سـتجدين الكثـير مـن الجثـث، فهـذا البيـت بيـت الغيـلان. اختبئـي بـين الجثـث بعيـدا عـن البـاب كي لا تـراك الغيـلان ولا تلمـسي أو تقـتربي مـن القضيـب المعـدني الـذي تسـتعمله لِـكَّي الجثـث فتكشـف مـن دخـل بيتهـا. »

اتبعـت الفتـاة تعليـمات الرجـل المسـن. اختبـأت بـين الجثـث وحـين دخلـت الغيـلان إلى المنـزل قـال أحدهـا : « أشـم رائحـة الإنـس في المنـزل. » قـام بتسـخين القضيـب المعـدني عـلى النـار وبـدأ بتمريـره فـوق الجثـث. حـين لامـس القضيـب المعـدني جلـد الفتـاة، كان قـد بـرد.

بقيـت الفتـاة مختبئـة حتـى خرجـت الغيـلان. عندهـا دخلـت إحـدى الغـرف فوجـدت فيهـا مجوهـرات. وضعـت المجوهـرات في منديـل وحزمتـه عـلى شـكل رزمـة ثـم قالـت « افتـح يـا قزيمـرة ».انفتـح البـاب وخرجـت.

عـادت الفتـاة إلى الغابـة لتأخـذ خيلهـا ثـم عـادت إلى بيتهـا. فـرح أبوهـا جـداً وقال لهـا : « بـاركك اللـه يـا ابنتـي، لقـد قمـت بفعـل حسـن. بعدهـا قصـد شـقيقه وقـال لـه : « تعـال انظـر مـا الـذي أحضرتـه ابنتـي. وأنـت، مـاذا فعـل ابنـك ؟ » رأى أن الفتـى أحـضر طبـولاً، طبـل لوالـده وآخـر لوالدتـه وطبـول لإخوتـه. فقـال

لـه والـده : « ألم تجـد شـيئا أفضـل لتحـضره ؟ انظـر إلى مـا جلبتـه ابنـة عمـك. »
عـاد الوالـد وابنتـه إلى البيـت فـأرت الصبيـة الجميـع المجوهـرات التـي أحضرتهـا.
فقـال والدهـا : « مـن هـي القـروح ومـن هـي الأفـراح ؟ »
شـعر شـقيقه بالنـدم واجهـش بالبـكاء وقـال لشـقيقه : « سـامحني يـا أخـي، ابنتـك فـرح والبنـات هـي الأفـراح وهـذا الابـن هـو القرحـة. »
اعتـذر العـم مـن ابنـة شـقيقه وقـال لهـا : « ارجـوك، أري ابنـي مـن ايـن حصلـت عـلى هـذه الخـيرات. »
وافقت الفتاة وأرشدت ابن عمها.
سار الولد بمحاذاة النهر الأسود، فقال له النهر : « نظفني. »
أجابه : « ليس لدي الوقت. »
التقى الولد بالرجل المسن فقال له « يا بني، اضربني على رأسي » فضربه.
قال له : « خذ هذه الملابس ومزقها » فمزقها.
قال له : « خذ هذه الملابس ولطخها » فلطخها.
قال له : « خذ هذا الوعاء واملأه بالطين » فملأه بالطين.
قال له : « خذ هذا الابريق واكسره » فكسره.
فقـال لـه : « يـا ولـدي كـما فعلـت ،سـأجازيك. تابـع سـيرك نحـو الغـاب وسـتجد منـزلاً صغـيراً. اتـرك خيلـك أمـام البـاب. ادخـل وسـتجد غرفـة مليئـة بالجثـث.

اختبـئ في الصـف الأمامـي الأقـرب للبـاب. »
اتبـع الفتـى النصائـح، فـترك خيلـه قـرب البـاب ثـم دخـل واسـتلقى بـين الجثـث قـرب البـاب. عندمـا عـادت الغيـلان، وجـدت الخيـل فالتهمتـه وحـين دخلـت إلى البيـت بـدأ الفتـى بالـصراخ فقامـت بتكبيلـه واتفقـت عـلى الاحتفـاظ بـه حتـى عيـد الأضحـى.
عندمـا تأخـر الفتـى، قلقـت والدتـه عليـه وقالـت للفتـاة: «لقـد أخـذ ابنـي الطريق التـي دللتهـا لـه لكنـه لم يعـد بعـد. هـل تسـتطيعين الذهـاب للبحـث عنـه ؟ » فوافقـت الفتـاة.
قصـدت الفتـاة منـزل الغيـلان وقالـت : « افتـح يـا قزيمـرة » فانفتح البـاب ووجدت ابـن عمهـا مربوطـا. فكـت قيـده ثـم عـادا إلى البيـت. اعتـذر الولـد مـن ابنـة عمـه وتصالـح الإخوة.
بعـد ذلـك عـادت الفتـاة إلى منـزل الغيـلان وأخـذت كل المجوهـرات. أصبحـوا أغنيـاء وعاشـوا سـعداء.
ذهبت حكايتي من واد لواد، أما أنا فبقيت مع الأجواد.

غربال

هذه الحكاية مستوحاة من الحكايات التقليدية المستخلصة من التراث المغربي لمدينة تاونات، وهي جزء من سلسلة الحكايات الجديدة حول الماء في المغرب العربي (الجزائر، المغرب و تونس).

كُتِبَت هذه الحكاية من طرف مجموعة من النساء المتطوعات في إطار ورشة الكتابة التشاركية التي نظمها مشروع « حكواتيات مغاربيات : فاعلات التغيير للحفاظ على الماء »، وذلك في افريل 2017 م بمدينة تاونات.

ساهمت ف كتابة هذه الحكايات، تحت تأطير السيدة أمال خزيوة، السيدات سمية العزوزي، كوثر الأزرق، نعيمة بوفتيلة، بهيجة كلاطي، فاطمة لغانة، فطيطم الصنهاجي، سميرة سراتل، فريدة الطنجي، وعايْشة طارق.

مراجعة النص : جهيدة بوخالفة، مستشارة تقنية GIZ الجزائر

رسم : Abdel8

قام بتتبع إنجاز هذه الحكاية السيدات فرح العوفير (كتابة الدولة المكلفة بالماء، المغرب)، مريم المدني وسارة درويش (الوكالة الألمانية للتعاون الدولي، المغرب) بمساهمة ماريا آنا رودريغيز وكيريتي روجاني (الوكالة الألمانية للتعاون الدولي، تونس) وليليا بنزيد (مرصد الصحراء والساحل).

تعود محتويات هذا المنشور إلى مسؤولية الوكالة الألمانية للتعاون الدولي ومرصد الصحراء والساحل.

هذا المنشور للاستخدام غير الهادف للربح، وبالتالي لا يمكن بيعه

كان يـا مـكان في قديـم الزمـان، كان هونـاك رجـل، توفيـت زوجتـه تاركـة لـه ابنـة. تـزوج بامـرأة هـي الأخـرى والـدة لابنـة في سـن ابنتـه. عندمـا كـبرت الفتاتـان، اصبحـت الزوجـة ترسـلهما كل صبـاح لإحضـار المـاء مـن النهـر. كانت تعطـى لابنتها دفـاً ولابنـة زوجهـا غربـالاً. عندمـا تسـتخدم ابنتهـا الـدف، كان يمتلـئ بالمـاء، أمـا ابنـة زوجهـا فغربالهـا لم يكـن يمتلـئ بالمـاء عندمـا تسـتخدمه. عنـد عـودة الفتاتـان إلى المنـزل، وابنـة الـزوج لم تكـن قـد جلبـت المـاء، كانـت خالتهـا تتخـذ مـن ذلـك عـذراً لتـصرخ في وجههـا.

ذات يـوم أدركـت الفتـاة اللعبـة ورمـت الغربـال في النهـر ثـم عـادت إلى البيـت بدونـه. صرخـت زوجـة والدهـا في وجههـا وقالـت لهـا : « إن لم تحـضري الغربـال فلـن تبقـي في المنـزل. » عـادت الفتـاة إلى النهـر تبـكي. تتبعـت الغربـال حتـى وصلـت إلى منـزل سـيدة عجوزعـلى ضفـة النهـر. قالـت لهـا الفتـاة : « مـن فضلـك يـا خالـة، ألم تـري غربـالا في النهـر ؟ »

قالت لها : « نعم رأيته، ماذا تفعلين به ؟ »

أجابتها الفتاة : « أستعمله لإحضار الماء. زوجة أبي ترسلني لإحضار الماء بواسطته. »

قالـت لهـا العجـوز : « يـا بنيتـي، لا نسـتخدم الغربـال للإستسـقاء بـل الدلـو. إن مـا

تقـوم بـه خالتـك ليـس بالأمـر الجيـد. مـن يبـذر المـاء يمكـن ان يتحـول إلى حجـر تنمـو عليـه طحالـب ويبقـى عالقـا عنـد ضفـة النهـر. مـن يبـذر المـاء، لا يرتـوي ولو شرب دلـواً تلـو الدلـو. مـن يبـذر الماء،يصبـح كالأرض القاحلـة التـى لا ينبـت شـجره فاكهـة عليهـا ولـن يجـد مـا يأكلـه. »

ناولـت العجـوز الفتـاة دلـواً وقالـت لهـا : « خـذي هـذا الدلـو واسـتعمليه مـن الآن فصاعـداً. أمـا الآن فادخـلي إلى بيتـي. »

دخلـت الفتـاة وسـألتها السـيدة : « مـاذا تريديـن ان تـأكلي؟ ألحـم حـمار أم لحـم غنـم ؟ »

فأجابتها : « لحم الحمار يكفيني يا خالة »

قالت لها : « لا، اليوم ستتناولين لحم الغنم. »

أحـضرت السـيدة العجـوز حنـاءً وحليـاً وقالـت لهـا : « بـم تريديـن ان ازيـن لـك يديـك ؟ بالحنـاء أم بالوحـل؟ »

فأجابتها : « الوحل يكفيني يا خالة. لم يسبق ان زين أحد يداي بالحناء. »

قالت لها : « لا اليوم، سأزين يديك بالحناء الرفيعة. »

عندمـا حـان وقـت النـوم قالـت لهـا : « أتريديـن ان تنامـي فـوق البسـاط أم فـوق

الرمـاد ؟ »

فأجابتها : « الرماد يكفيني يا خالة. »

فقالـت لهـا : « لا، اليـوم سـتنامين عـلى البسـاط. » نامـت الفتـاة نومـا هنيئـا لأن البسـاط افضـل مـن الرمـاد. في الصبـاح التـالي، مـلأت السـيدة غربـال الفتـاة والدلـو بقطـع مـن الذهـب وقالـت لهـا: «عـودي إلى بيتـك.» ارسـلت معهـا كلبـة لترشـدها في الطريـق.

كانـت الكلبـة تغنـي: «هـاو هـاو السـيدة احـضرت نينـو. هـاو هـاو السـيدة احـضرت نينـو.» عنـد وصولهـما، أتـت كلاب القريـة وبـدأت تغنـي بدورهـا: «هـاو هـاو السـيدة احـضرت نينـو. هـاو هـاو السـيدة احـضرت نينو.»سـمع الجـيران الغنـاء وخرجـوا لـيروا مـاذا يحـدث، حينهـا رأوا الفتـاة محملـة بدلـو مـن القطـع الذهبيـة. خـرج والدهـا مـن البيـت ومعـه زوجتـه. سر والدهـا كثـيراً أمـا زوجتـه فغضبـت وقالـت : « كيـف تحـضر كل تلـك الخـيرات ؟ »

سـألتها : « مـن أيـن أحـضرت ذلـك؟» روت الفتـاة القصـة لخالتهـا فأمـرت هـذه الأخـيرة ابنتهـا بالذهـاب إلى نفـس المـكان، علـماً أن الفتـاة قليلـة الأدب.

توجهـت الفتـاة إلى ضفـة النهـر ووجـدت السـيدة العجـوز قـرب بـاب البيـت.

بمجـرد رؤيتهـا المـرأة العجـوز، رمـت الفتـاة الـدف وقالـت : « مـن فضلـك يـا خالـة، ألم تـري دفـا يطفـو فـوق النهـر ؟ »

قالت لها : « ادخلي، ادخلي يا ابنتي، أنا اخدت الدف، ماذا تفعلين به ؟ »

أجابتها الفتاة : « استعمله لإحضار المياه من النهر. »

قالـت لهـا السـيدة العجـوز : « الـدف افضـل مـن الغربـال، لكـن لا يسـتخدم لإحضـار الميـاه. »

ناولتهـا دلـواً وقالـت لهـا : « إن الدلـو يسـتخدم لاحضـار المـاء. الآن ادخـلي إلى منـزلي. »

دخلـت الفتـاة وسـألتها العجـوز : « مـاذا تريديـن أن تـأكلي؟ ألحـم الحـمار أم لحـم الغنـم ؟ »

أجابتهـا : « مـاذا؟ لحـم الحـمار؟ هـل يـؤكل ؟ إن والـدتي لا تطعمنـي سـوى لحـم الغنـم. »

قالت لها : « اليوم ستتناولين لحم الحمار. »

سألتها ثانية : « بم تريدين أن ازين لك يديك؟ بالحناء ام بالوحل ؟ »

واجباتها الفتاة : « والدتي لا تستعمل سوى الحناء الرفيعة لتزيين يدي »

قالت لها : « اليوم سأزين يديك بالوحل. »
سألتها ثانية : « أين تريدين أن تنامي؟ على البساط أم على الرماد ؟ »
اجابتها : « أختي عائشة هي فقط من ينام على الرماد. »
قالت لها : « اليوم ستنامين على الرماد »
في الصباح التالي، أيقظتها السيدة العجوز باكراً وناولتها الدلو والدف بعد أن ملأتهما بالفحم و قالت لها: «خذي وغادري حالا.» ارسلت معها كلبة لترشدها في الطريق. كانت الكلبة تغني : « هاو هاو السيدة احضرت خيخو. هاو هاو السيدة احضرت خيخو.» عند وصولهما، أتت كلاب القرية وبدأت تغني بدورها : « هاو هاو السيدة احضرت خيخو هاو هاو السيدة احضرت خيخو ». سمع الجيران الغناء وخرجوا ليروا ما الذي يحدث فشهدوا على تلك الكارثة. صرخت والدتها في وجهها وادخلتها إلى البيت.
عندما أرادت الفتاة ان تغسل الوحل والرماد من على جسدها، لم تستطع فعل ذلك. أما السبب فهو أن السيدة العجوز كانت قد نبهتها : « يا بنيتي، واجب عليك ان تحافظي على الماء» وقد أجابتها حينها : « الماء موجودة في كل مكان وسأتصرف فيه كما أشاء. »

مـرت أيـام عـدة ندمـت الفتـاة و بـدأت تطلـب المغفـرة مـن اللـه، حينهـا فقـط تمكنـت مـن تنظيـف جسـدها مـن ذلـك الوحـل والرمـاد. أمـا الفتـاة الأخـرى فاشـترى لهـا والدهـا بسـتانا واعتنـت بـه إلى أن أصبـح مزدهـراً وخلابـاً.

ذهبت حكايتي من واد لواد، أما أنا فبقيت مع الأجواد.

هاينة وشقيقها الغزال

هذه الحكاية مستوحاة من الحكايات التقليدية المستخلصة من التراث المغربي لمدينة تاونات، وهي جزء من سلسلة الحكايات الجديدة حول الماء في المغرب العربي (الجزائر، المغرب و تونس).

كُتِبَت هذه الحكاية من طرف مجموعة من النساء المتطوعات في إطار ورشة الكتابة التشاركية التي نظمها مشروع « حكواتيات مغاربيات : فاعلات التغيير للحفاظ على الماء »، وذلك في افريل 2017 م بمدينة تاونات.

ساهمت ف كتابة هذه الحكايات، تحت تأطير السيدة أمال خزيوة، السيدات سمية العزوزي، كوثر الأزرق، نعيمة بوفتيلة، بهيجة كلاطي، فاطمة لغانة، فطيطم الصنهاجي، سميرة سراتل، فريدة الطنجي، وعايْشة طارق.

مراجعة النص : جهيدة بوخالفة، مستشارة تقنية GIZ الجزائر

رسم : Abdel8 و ص. أيوب

قام بتتبع إنجاز هذه الحكاية السيدات فرح العوفير (كتابة الدولة المكلفة بالماء، المغرب)، مريم المدني وسارة درويش (الوكالة الألمانية للتعاون الدولي، المغرب) بمساهمة ماريا آنا رودريغيز وكيريتي روجاني (الوكالة الألمانية للتعاون الدولي، تونس) وليليا بنزيد (مرصد الصحراء والساحل).

تعود محتويات هذا المنشور إلى مسؤولية الوكالة الألمانية للتعاون الدولي ومرصد الصحراء والساحل.

هذا المنشور للاستخدام غير الهادف للربح، وبالتالي لا يمكن بيعه

كان يـا مـكان في قديـم الزمـان، كان هنـاك فتـاة تدعـى هاينـة. ذهبـت هاينـة ذات يـوم لغسـل شـعرها في الحـوض، فسـقطت خصلـة طويلـة مـن شـعرها وطفـت عـلى المـاء.

هاينـة شـقيقة سـلطان. في ذلـك اليـوم، كان خـدم السـلطان قـد أخـذوا الخيـول كي تـشرب مـن ذلـك الحـوض، فـإذا بالخيـل تلحـظ خصلـة الشـعر في الميـاه وترفـض الـشرب. خـشي الخـدم أن يتأخـروا فعـادوا أدراجهـم وقالـوا للسـلطان : « امـن علينـا وسـنقول لـك. »

فأجابهم : « لكم الامان. »

فقالـوا لـه : « عندمـا أخذنـا الخيـل إلى الحـوض، رأت خصلـة شـعرعلى سـطح المـاء فرفضـت أن تـشرب. »

أمرهم عندها : « احضروا لي هذه الخصلة حالاً. »

أحـضر الخـدم الخصلـة عـلى الفـور. وعندمـا أمسـكها السـلطان انبهـر بجمالهـا وقـال لخدمـه « سـوف اتـزوج صاحبـة هـذا الشـعر حتـى لـو كانـت الخصلـة تعـود لأختـي، فابحثـوا عنهـا ».

بـدأ الخـدم بالبحـث عـن صاحبـة تلـك الخصلـة عـن طريـق مقارنـة طولهـا مـع

طـول شـعر كل فتـاة في القبيلـة. في نهايـة المطـاف، أكتشـفوا انهـا تخـص هاينـة فعـلاً. ولكـن بمـا أن قـرار السـلطان لا رجـوع فيـه، بـدأ اهـل القبيلـة بالتحضـير للزفـاف مـن زينـة العـروس والحنـاء وغيرهـا.

نـادت هاينـة شـقيقها الأصغـر وقالـت له «اذهـب الى البيـت وراقب مـاذا يفعلون» في حـين جلسـت هـي عـلى رأس جبـل صغـير .ذهـب الأخ الأصغـر فوجدهـم في البيـت سـعداء، منهمكـين بالتحضـير للزفـاف. عـاد وقـال لهاينـة: «هاينـة يـا اختي، الطبالـون يقرعـون الطبـول والزمـارون يعزفـون، واهلـك وأبنـاء عمـك يرقصـون في وسـطهم ».

بقيـت هاينـة فـوق الجبل حزينـة. عندما جـاء أهلها وشـقيقها السـلطان لإحضارها، بـدأت تبـكى وتغنـي : « ارتفعـي يـا جبـال وانظـري الى محنتـي. في الأمـس كان اخـي واليـوم يصبـح زوجي ».

بـدأ الجبـل بالارتفـاع ولم يتمكـن أهلهـا والسـلطان مـن الإمسـاك بهـا. فـور توقفهـا عـن الغنـاء انخفـض الجبـل وحاولـوا الإمسـاك بهـا مـن جديـد فعـاودت الغنـاء : « ارتفعـي يـا جبـال، وانظـري إلى محنتـي. في الأمس كانت أمي واليـوم تصبح حماتي. » ارتفـع الجبـل ولم يتمكنـوا مـن الإمسـاك بهـا. فـور توقفهـا عـن الغنـاء انخفـض

الجبـل مجـدداً وحاولـوا الأمسـاك بهـا فبـدأت بالغنـاء مـن جديـد : « ارتفعـي يـا جبـال وانظـري إلى محنتـي، في اأامـس كان أبي والآن يصبـح حـماي. »

توقفـت هاينـة عـن الغنـاء، فانخفـض الجبـل وأخذهـا اهلهـا إلى البيـت. حضروهـا للزفـاف وزينوهـا بالحنـاء.

قالـت لهـم : « احـضروا أخـي الاصغـر، أريـد الحديـث معـه. » عنـد حضـوره قالـت لـه « اسـمع يـا أخـي، سـيقومون الآن بتمشـيط شـعري وتزيينـي بالحنـاء. خـذ المشـط دون ان يـراك احـد واهـرب بعيـداً. ان طلبـوا منـك ارجاعـه قل لهـم انك لن تعطيهـم اياه حتـى يحـضروني وفـور حضـوري سـنهرب معـا. » اتفـق الشـقيقان. مـر الصبـي مـن أمامهـم، أخـذ المشـط ثـم فـر هاربـاُ. عندمـا ذهـب أهلـه لإحضـار المشـط قـال لهـم: «لـن تحصلـوا عليـه حتـى تحـضروا أختـي هاينـة.» خرجـت هاينـة وبـإذن السـميع العليـم ركبـت وأخوهـا المشـط وعـبرا النهـر وهربـا بعيـداً. زارا بلـد وغـادرا آخـر وقطعـا مسـافات طويلـة ولم يسـمع عنهـما خـبر في بلدهـما. و هـما لا يـزالان في الطريـق، غربـت الشـمس وصادفـا بيـت غولـة فدقـا بابهـا و تبـادل الجميـع التحيـة : « السـلام عليكـم وعليكـم السـلام. »

سـألت الغولـة : « مـا الـذي أحـضرك يـا ابنتـي في هـذا الوقـت المتأخـر مـن الليـل ؟

مـاذا حـدث لـك ؟ » روت لهـا هاينـة قصتهـا : « كنـت سَـأْغصبُ عـلى الـزواج بأخي فهربـت، وحصـل معـي هـذا وحصـل معـي ذلـك ...» قامـت الغولـة بإطعامهـما وسـمحت لهـما بقضـاء الليليـة في بيتهـا. في الصبـاح، عندمـا كانا يسـتعدان للطريق نبهتهـما : « في طريقكـما، سـتجدان سـبع عيـون مـاء. إياكـما والـشرب منهـا !

مـن يـشرب مـن العـين الاولى، يتحـول إلى اسـد. لا ترميـا زبالـة فيهـا وإلا عـادت والتصقـت بوجهيكـما.

مـن يـشرب مـن العـين الثانيـة، يتحـول إلى خنزيـر. لا تلوثـا مياههـا وإلا مسـختكما وجعلـت لكـما ذيـلاً.

من يشرب من العين الثالثة، يتحول إلى ثعبان. ان غسلتما بها شعركما تفقدانه.

مـن يـشرب مـن العـين الرابعـة، يتحـول إلى خـروف. ان هدرتمـا مياههـا تصبـح لكـما سـيقان كالجمـل.

مـن يـشرب مـن العـين الخامسـة، يتحـول إلى ثـور. اذا سـكبتما ماءهـا خارجـاً تبكـمان.

مـن يـشرب من العين السادسـة، يتحـول إلى غزال. ان غسـلتما ثيابكما بها تصابـان بالبرص.

عنـد وصولكـما الى العـين السـابعة، اشربـا منهـا واغتسـلا فيهـا لكـن لا تتغوطـا

قربهـا، فالمرحـاض قريـب. ان قمتـما بذلـك سـتفقدان بصركـما. »
في الطريـق، عطـش الفتـى. أراد أن يـشرب مـن كل عـين مـرا بهـا، لكـن شـقيقته هاينـة كانـت تنبهـه في كل مـرة بقولهـا : « لا حاجـة لـك يـا أخـي ان تتحـول إلى ذلـك الحيـوان الـذي سـمته الغولـة. » حـاول الولـد الصمـود ولكـن عندنـا وصـلا إلى العـين السادسـة كان العطـش قـد اشـتد عليـه فقـرر الاحتيـال كي يـشرب. أسـقط حـذاءه وابتعـد قليـلاً عـن اختـه ثـم قـال لهـا : « يـا أختـاه، لقد سـقط منـي حذائي، سـأذهب لإحضـاره. » فأجابتـه هاينـة : « لا يـا أخـي، لمـاذا تعـود؟ أنـا أعلـم أن هـذه ليسـت سـوى حيلـة كي تعـود أدراجـك و تـشرب مـن العـين. و عندهـا تتحول إلى غـزال. » أجابهـا أخوهـا : « لا، لسـت عائـدا إلى العـين.» أقنعهـا وسـمحت لـه بالعـودة. انحنـى صـوب العـين وبـدأ يـشرب فتحـول إلى غـزال. عندمـا كانـت هاينـة تنتظـره، أتى مـن خلفهـا قـادم مـن ورائهـا متحدثاُ بصـوت غـزال : « أمممممم أممـم. » غضبـت هاينـة ثـم قالـت لـه : « هـذا مـا حذرتنـا منـه الغولـة. قلـت لك انـك ان عـدت سـوف تـشرب مـن العـين. هـا أنـت قـد شربـت منهـا وتحولـت غـزالاً. »

ارتبكت هاينة ولم تعلم كيف تتصرّف في هذه الحالة. تابع الأخوان سيرهما، ووصلا إلى مزرعة سلطان بلد آخر وجلسا قرب نخلة. شعرت هاينة بالجوع فتسلقت قمة تلك النخلة تاركة أخاها قرب جذعها. كانت تأكل الثمر وترمي لأخيها منه. حضر صيادو السلطان وفور رؤيتهم لهاينة فوق النخلة انبهروا بجمالها. عادوا لسلطانهم وقالوا له: «امن علينا وسنخبرك.»

اجابهم : « لكم الامان. »

« فقالوا له: هناك فتاة فائقة الجمال على قمة نخلة في بستانك وغزال صغير بالقرب من جذعها »

أمرهم السلطان عندها: أحضروا لي هذه الفتاة الآن. »

ذهب الخدم لإحضار هاينة من على اعلى النخلة، فرفضت النزول. حاولوا كثيراُ لكن دون جدوى. أخذوا أخاها الغزال إلى السلطان حتى تتبعه لكنها لم تفعل ذلك.

بدأوا بضرب النخلة بالفأس، فبدأت تسقط شيئاً فشيئاُ. بحلول آذان المغرب، لم يتبق لسقوطها سوى ضربتين فقالت هاينة: «تجبري يا نخلتي، تجبري يا نخلتي تجبري يا نخلتي. » وبإذن السميع العليم عادت النخلة كما كانت

وكأن شيئا لم يكن. استمر الخدم على هذا المنوال لثلاثة أيام عازمين على إحضاره هاينة للسلطان وإلاعاقبهم. قصدوا سيدة عجوز تقطن في تلك البلدة وقالوا لها : « هنالك فتاة جالسة فوق نخلة في مزرعة السلطان. آمرنا السلطان بإحضارها إليه وان لم نقم بذلك سيعاقبنا. لذلك فإننا نطلب مساعدتك. » سألتهم العجوز: «هل هذا كل شيء ؟ انا قادرة على ذلك وسأنزلها من على الشجرة. » سألها الخدم : « وكيف ستقومين بذلك ؟ » فأجابتهم « سترون،انا من سيحضرها. »

أحضرت السيدة العجوز أدوات طبخ وباشرت بإعداد الكسكس قرب تلك النخلة. قامت بقلب الطبق وجميع معدات الطبخ. فقالت لها من فوق : « يا خالتي، ليس بهذه الطريقة، يا خالتي، ليس بهذه الطريقة. »

فأجابتها السيدة العجوز: « يا ابنتي، انا عجوز و مريضة، و بصري ضعيف. ارجوك، تعالي وساعدني. »

قالت لها هاينة: «اذا نزلت سيأخذني صيادو السلطان ».

أجابتها: «لا يا ابنتي، انزلي بسرعة ثم اصعدي ثانية. »

أشفقت هاينة على العجوز ونزلت لتساعدها في الطبخ. وأثناء انشغالها بذلك،

قامت العجوز بخياطة لباسها بلباس هاينة. عندما انتهت هاينة من الطبخ وحاولت الصعود من جديد، وجدت نفسها عالقة في الأسفل.
عندها، جاء صيادو السلطان وأقتادوها إليه. فور رؤيته لها سألها: «ما بك؟» عندما روت له قصتها طلب منها الزواج ووافقت على طلبه. تزوجا و بعد فترة من الزمن حملت هاينة.
كان للسلطان ثلاث زوجات غير هاينة. ذات يوم، قال السلطان لهاينة قبل خروجه : « لا تثقي بزوجاتي، وان قلن لك هيا بنا سنخرج، لا تخرجي معهن. » فأذعنت هاينة. ذهب السلطان للصيد وتركها. جاءت زوجات السلطان وقلن لها : « كان يقوم بنفس الشيء معنا. أخرجي معنا ولا تكترثي لكلامه، سيأتي يوم تصبحين فيه بلا قيمة بالنسبة له. تعالي معنا. » أقنعنها فخرجت معهن. ظنت الزوجات أن الغزال، أخ هاينة مجرد حيوان، لكنه في الأصل إنسان وكان يراقبهن. غطت النساء بئرا بالعشب وطلبن من هاينة الجلوس فوقه، فسقطت الأخيرة في قاعه.
عند عودة السلطان سأل : « أين هي زوجتي؟ أين هي زوجتي ؟ »
فقيل له : « لا يجوز لأي امرأة تائهة وبدون أهل ان تعيش معنا. كل ما

نعلمـه انهـا ذهبـت ».

غضـب السـلطان وارتبـك. كان أخ هاينـة الغـزال يرعـى مـع أحـد رعيـان السـلطان. عندمـا تخلصـت زوجـات السـلطان مـن هاينـة أردن التخلـص منـه أيضـا فشرعـن بتسـخين المـاء وشـحذ السـكاكين وفتـل الحبـال اسـتعداداً لذبحـه. عنـد رؤيتـه ذلـك توجـه صـوب البـئر وقـال : « هاينـة أختـي! الميـاه تغـلي والحبـال تفتـل والسـكاكين تشـحذ وليـس بيـد أخـاك الغـزال حيلـة. »

أجابتـه هاينـة مـن قعـر البـئر: « يـا أخـي الغـزال، ليـس بيـدي حيلـة، أنـا في قـاع البـئر والحسـن والحسـين عـلى ركبتـي. »

لاحـظ الراعـي مـا جـرى فذهـب لإخبـار السـلطان : « مـولاي السـلطان، ذلـك الغـزال الـذي أرعـاه مـع ماشـيتي يمـر قـرب بـئر وإليـك مـا يقولـه. »

في اليـوم التـالي، خـرج السـلطان ليتنصـت عـلى الغـزال الصغـير يمـر قـرب ذلـك البئر و يكـرر نفـس الأغنيـة: « هاينـة أختـي! الميـاه تغـلي والحبـال تفتـل والسـكاكين تشـحذ وليـس بيـد أخـاك الغـزال حيلـة، » وأختـه تجيبـه مـن قـاع البـئر : « يـا أخـي الغـزال، ليـس بيـدي حيلـة، أنـا في قـاع البـئر والحسـن والحسـين عـلى ركبتـي » نادى السلطان اهل القبيلة وآمرهم بإخراج ما في البئر.

نفـذوا طلـب السـلطان وبـإذن السـميع العليـم وجـدوا هاينـة وأخروجهـا مـع الولديـن. سـألها السـلطان : « مـا الـذي حـدث لـك ؟ وكيـف؟ ألم أطلـب منـك أن لا تخرجـي معهـن ؟ »

روت لـه القصـة ومـا فعلـن بهـا الزوجـات الأخريـات، فقـال لهـا : « الآن تَمَنِـيّ، واشـترطي مـا تريديـن في عقابهـن »

فقالـت لـه : « طلبـي هـو ان تبنـي حمامـا للنسـاء حتـى يغسـلن شـعرهن دون سـقوطه في العـين فـلا يقعـن في مشـكلة كالتـي وقعـت فيهـا. أمـا العقوبـة التـي سـتعاقب بهـا زوجاتـك فهـي ان يعملـن في ذلـك الحـمام مـدى حياتهـن دون مقابـل ».

نفذ السلطان طلباتها وأصبحت هاينة سلطانة وعاد أخوها إلى طبيعته الآدمية.

ذهبت حكايتي من واد لواد، أما أنا فبقيت مع الأجواد.

حكايات تونسية

حباية عويشة

هذه الحكاية مستوحاة من الحكايات التقليدية المستخلصة من التراث التونسي للكاف، وهي جزء من سلسلة من الحكايات الجديدة حول الماء في المغرب العربي (الجزائر، المغرب وتونس).

كُتِبَت هذه الحكاية من طرف مجموعة من النساء المتطوعات في إطار ورشة الكتابة التشاركية التي نظمها مشروع «حكواتيات مغاربيات : فاعلات التغيير للحفاظ على الماء»، وذلك في مارس 2017 م بالكاف

ساهمت السيدات لبنى عبروقي، خلود بالهادي، يسرى همامي، فاطمة حطابي، خولة ماهنن، نجاة نفزي ونجوى نسيبي في كتابة هذه الحكاية، تحت تأطير الدكتور عبد الرحمان أيوب.

رسم : نادية ذهب

قام بتتبع إنجاز هذه الحكاية :

السيدات ماريا آنا رودريغيز و كيريتي روجاني (الوكالة الألمانية للتعاون الدولي) وليليا بنزيد (مرصد الصحراء والساحل)

مراجعة النص أدبيّاً وفنيّاً : جهيدة بوخالفة، مستشارة تقنية، GIZ الجزائر

تعود محتويات هذا المنشور إلى مسؤولية الوكالة الألمانية للتعاون الدولي ومرصد الصحراء والساحل.

هذا المنشور للاستخدام غير الهادف للربح، وبالتالي لا يمكن بيعه.

يُحْكَى أَنَّهُ فِي قَرْيَةٍ نَائِيَةٍ، كَانَتْ تَعِيشُ فَتَاةٌ جَمِيلَةٌ مَمْشُوقَةَ الْقَدِّ، مُسْتَدِيرَةَ الْوَجْهِ، ذَاتَ شَعْرٍ طَوِيلٍ حَرِيرِيِّ الْمَلْمَسِ. وَذَاتَ يَوْمٍ خَرَجَتْ مِنْ مَنْزِلِهَا، وَرَاحَتْ إِلَى عَيْنِ مَاءٍ صَافِيَةٍ فِي أَطْرَافِ الْقَرْيَةِ، لِتَمْلَأَ جَرَّتَهَا بِمِيَاهٍ زُلَالٍ بَارِدَةٍ. وَبَيْنَمَا هِيَ فِي الطَّرِيقِ، لَمَحَتْ كَائِنًا غَرِيبَ الْمَنْظَرِ لَمْ تَعْهِدْ مِنْ قَبْلُ رُؤْيَتَهُ، وَلَمْ تُمَيِّزْهُ إِنْ كَانَ إِنْسَانًا أَوْ حَيَوَانًا. وَكَانَتْ مُنْذُ أَشْهُرٍ قَدْ سَمِعَتْ أَهَالِي الْقَرْيَةِ يَتَحَدَّثُونَ عَنْهُ، وَيُطْلِقُونَ عَلَيْهِ اِسْمَ « عَوِيشِيشَة »، فَشَعُرَتْ بِالْخَوْفِ، وَصَارَتْ تَمْشِي مُتَبَاطِئَةَ الْخُطَى، مُتَأَهِّبَةً لِلْفِرَارِ إِذَا دَاهَمَهَا هَذَا الْمَخْلُوقُ الْعَجِيبُ.

كَانَتْ «عْوِيشِيشَة» تَقِفُ أَمَامَ عَيْنِ الْمَاءِ، وَلاَ تَتْرُكُ أَحَدًا يَشْرِبُ مِنْهَا، أَوْ يَمْلَأُ جَرَّةً أَوْ دَلْوًا، وَحَتَّى الْحَيَوَانَاتُ أَضْحَتْ تَشْعُرُ بِالفَزَع، وَتَلُوذُ بِالْفِرَارِ. وَلاَ أَحَدَ بِوُسْعِهِ الْمُكُوثَ طَوِيلاً فِي هَذَا الْمَكَانِ، رُغْمَ جَمَالِ مَنْظَرِهِ وَكَثَافَةِ أَشْجَارِهِ، وَغَزَارَةِ شَلاَّلِهِ. لَكِنَّ الصَّاعِدَ إِلَى عَيْنِ الْمَاءِ يَجِدُ صُعُوبَةً فِي ذَلِكَ، لِأَنَّهَا تُوجَدُ فِي أَعْلَى الْجَبَلِ، وَالطَّرِيقُ الصَّخْرِيُّ يَتَخَلَّلُهُ مَسْرَبٌ وَعْرٌ. وَخِلاَفًا لِمَا يَظُنَّهُ النَّاسُ فَإِنَّ الطِّفْلَةَ الْجَمِيلَةَ، كَانَتْ لَدَيْهَا الشَّجَاعَةُ، وَرَبَاطَةُ الْجَأَشِ، لِتَصِلَ إِلَى الْمِيَاهِ الْبَارِدَةِ، الْمُتَدَفِّقَةِ بِغَزَارَةٍ، فَتَرْتَوِي وَتَمْلَأُ جَرَّتَهَا، وَتَعُودُ إِلَى بَيْتِهَا آمِنَةً.

لَكِـنْ فِي هَـذِهِ الْمَـرَّةِ، حَـدَثَ مَـا لَـمْ يَكُـنْ فِي حُسْـبَانِهَا، إِذْ بَـرَزَتْ لَهَـا «عْوِيشِيشَـة» مِـنْ بَـيْنَ الْأَشْـجَارِ، وَرَاحَـتْ تَعْـدُو خَلْفَهَـا، وَهْـيَ تُوَلْـوِلُ وَتَصِيـحُ غَاضِبَـةً، فَلَـمْ تَجِـدْ الْفَتَـاةُ مِـنْ سَـبِيلٍ لِلنَّجَـاةِ إِلاَّ اِرْتِقَـاءَ شَـجَرَةٍ بَاسِـقَةٍ، وَالتَّشَـبُّثَ بِأَغْصَانِهَـا، إِلَى أَنْ يَـأْتِي مَـنْ يَسْـتَطِيعُ إِنْقَاذَهَـا مِـنْ بَـلاَءِ « عَوِيشِيشَـة ».

وَبَيْنَـمَا كَانَـتْ الْفَتَـاةُ عَـلَى هَـذَا الْحَـالِ مِـنَ الذُّعْـرِ وَالْفَـزَعِ، إِذْ مَـرَّ شَـابٌّ وَسِـيمٌ مِـنْ أَعْيَـانِ الْقَرْيَـةِ، قَـدِمَ إِلَى الْعَـيْنِ لِيَمَكِّـنَ أَبْقَـارَهُ مِـنْ شُرْبِ الْـمَاءِ، وَفْجَـأَةً لاَحَـظَ اِضْطِرَابًـا بَادِيًـا عَلَيهَـا، وَصَـارَ يُرْجِـعُ كُلَّ بَقَـرَةٍ اِبْتَعَـدَتْ إِلَى الْقَطِيـعِ، لَكِـنَّ الْبَقَـرَ وَاصَـلَ نُفُـورَهُ. فَحَـدَسَ أَنَّ أَمْـرًا غَـيْرَ طَبِيعِـيٍّ، يَحْـدُثُ فِي الْمَـكَانِ، فَجَـالَ بِبَـصَرِهِ يَمْنَـةً وَيَـسْرَةً، ثُـمَّ رَفَعَـهُ فِي اِتِّجَـاهِ الشَّـجَرَةِ، فَـإِذَا بِفَتَـاةٍ جَمِيلَـةٍ عَالقَـةً بِهَـا. فَنَادَاهَـا مِـنْ بَعِيـدٍ قَائِـلاً:» مَـاذَا تَفْعَلِـينَ أَيَّتُهَـا الطِّفْلَـةُ فِي هَـذَا الْقَفْـرِ، وَكَيْـفَ اِرْتَقَيْـتِ هَـذِهِ الشَّـجَرَةِ الْبَاسِـقَةِ. »

اِلْتَفَـتَ الْفَـارِسُ فَـرَأَى مَخْلُوقَـةً غَرِيبَـةً، تَنَفِّـرُ الْقَطِيـعَ فِي كُلِّ اتِّجَـاه، فَتَدَاعَـى قَلِيـلاً إِلَى الْـوَرَاءِ. ثُـمَّ رَاحَ يُعِيـدُ الْبَقَـرَاتِ إِلَى بَعْضِهَـا، وَيُؤَلِّـفُ مَـا تَشَـتَّتَ مِـنْ قَطِيعِـهِ، وَيُبْعِدُهَـا عَـنْ الْمَـكَانِ الْخَطِـرِ. وَعَيْنَـاهُ شَـاخِصَتَانِ فِي الطِّفْلَـةِ قَائـلا لَهَـا :

« لاَ تُبَارِحِـي مَكَانَـكِ... سَـأقُومُ بْتأمِـينِ الْقَطيـعِ، ثُـمَّ أَعُـودُ إِليـكِ... ابْقَـيْ هُنـاكَ وَتشَـبَّثِي جَيِّـدا بالْأَغْصَـانْ. »

فِي طَرِيقِـهِ إِلَى الْعَـوْدَةِ، قَـرَّرَ الْفَـارِسُ الْقَضَـاءَ عَـلَى « عْوِيشِيشَـة »، وَإِرْجَـاعَ الْعَـيْنِ إِلَى أَهَـالِي الْقَرْيَـةْ، وَقَـدْ لاَحَـظَ أَنَّ مَاءهَـا الصَّـافِي، ضَائِـعٌ دُونَ اسْـتِغْلاَلٍ، وَلاَ أَحَـدَ بِوُسْـعِهِ اِسْـتِغْلاَلَهُ وَالاِنْتِفَـاعَ بِـهِ.

وَعِنْدَمَـا وصَـلَ، جَـالَ عَـلَى حِصَانِـهِ بَـيْنَ الْمَنَـازِلِ مُنَادِيًـا عَـلَى أَصْحَابِهَـا، لِلْاجْتِـمْاعِ فِي رَحْبَـةِ الْقَرْيَـةِ لِأَمْـرٍ مُهِـمٍّ، وَبَعْـدَ سُـوَيْعَةٍ تَجَمْهَـرَ النَّـاسُ، بَعْـدَ أَنْ تَسَـامَعُوا بِـأَنَّ هُنَـاكَ أَمْـرًا مُهِـمًّا يَنْتَظِرُهُـمْ.

فَوَقَـفَ الْفَـارِسُ فِيهِـمْ مُخَاطِبًـا : « لَقَـدْ سَـيْطَرَتْ «عْوِيشِيشَـة » عَـلَى الْعَـيْنِ الَّتِـي نَـشْرَبُ مِنْهَـا وَتَسْـقِي شِـيَاهَنَا وَأَرَاضِينَـا، وَلَـمْ يَعُـدْ أَمَامَنَـا إِلاَّ الْجُـوعُ والعَطَـشُ، وَنَحْـنُ مُسْتَسْـلِمُونَ لَهَـا دُونَ أَنْ نُحَـرِّكَ سَـاكِنًا، فَقَـدْ اسْـتَغَلَّتْ هَـذِه الشِّرِّيـرَةُ، قِلَّـةَ حِيلَتَنَـا فِي مَيْـدَانِ الْفِلاَحَـةِ، وَاسْـتِهْتَارَنَا بِالْمِيَـاهِ، وَعَدَمِ اِسْـتِغْلاَلِهَا، فَاسْـتَحْوَذَتْ عَلَيْهَا، وَمَنَعَتْنَـا وَأَغْنَامَنَـا مِـنَ الْاِقْـتِرَابِ مِـنَ الْعَـيْنِ الرَّقْرَاقَـةِ الصَّافِيَـةِ، وَهَـا أَنَّ الْوَقْـتَ قـدْ حَـانَ لِاسْـتِرْجَاعِ الْعَـيْنِ، وَإِحْـكَامِ التَّـصَرُّفِ فِي الْمِيَـاهِ واسْـتِغْلاَلِهَا، وَطَـرْدِ « عْوِيشِيشَـة » خَائِبَـةً مَدْحُـورَةً. »

مَـا إِنْ أَتَـمَّ كَلاَمَـهُ، حَتَّـى عَلَـتْ أَصْـوَاتُ السُّـكَّانِ مُؤَيِّدِيـنَ فِكْرَتَـهُ، وَمُشَـجِّعِينَ عَـلَى اسْـتِرْجَاعِ الْعَـيْنِ، وَكَانَ كُلٌّ وَاحِـدٍ يَرْغَـبُ فِي إِنْشَـاءِ شَيْءٍ مَّـا، فَهَـذَا يُفَكِّـرُ فِي مَاجِـلٍ، وَذَاكَ فِي سَـاقِيَةٍ وَالآخَـرُ فِي فَسْـقِيَّةٍ، وَذاكَ يَرْغَـبُ فِي جَابِيَـةٍ. وَلَـمْ يَلْبَثُـوا طَويـلاً حتَّـى كَانَ الْجَمَاعَـةُ فِي طَرِيقِهِـمْ إِلَى الْعَـيْنِ تغمرهُـمْ الْحَمَاسـةُ، وَتُقَوِّيهِـمِ الْعَزِيمَـةُ. وَكَانُـوا يَحْمَلُـونَ مَعَهُـمْ أَدَوَاتِ الْبِنَـاءِ مِـنْ فُـؤُوسٍ، وَمِسْـحَاةٍ وَمَلاَعِـقَ... وَفِيهِـمْ مَـنْ تَـبَرَّعَ بِالْإِسْـمَنْتِ، وَالرَّمْـلِ وَكُلِّ مَـا يَلْـزِمُ الْبِنَـاءَ.

وَصَـلَ الْأَهَـالي إِلَى الْعَـيْنِ، وَفِي الْحِـينِ بَـدؤوا فِي الْعَمَـلِ الْجَـادِّ دونَ هَـوَادَةٍ، فَكُنْـتَ تَـرَى الْعَـرَقَ يَتَصَبَّـبُ مِـنْ جَبينِهِـمْ وَهُـمْ يُـؤَازِرُونَ بَعْضَهُـمْ، وَكُلَّـمَا تَعِبُـوا شَرَعَ أَحَدُهُـمْ فِي الْغِنَـاءِ، لِيُخَفِّـفَ مِـنْ وَطْـأَةِ التَّعِـبِ عـنِ الْآخَرِيـنَ، وَقَـدْ اِقْـتَرَحَ كَبيرُهُـمْ عَـلَى الْجَمَاعـةِ، بِنَـاءَ خَـزَّانٍ كَبِـيرٍ وَاسِـعٍ، وَبِوَاسِـطَةِ الْاِسْـمَنْتِ الْمُسَـلَّحِ، تُـمَّ إِيصَالُـهُ بِسَـاقِيَةٍ تُـزَوِّدُهُ بِمِيـاهِ الْمَطَـرِ. إِذْ كُلَّـمَا شَـحَّ الْـمَاءُ، وَجَفَّـتْ الْعَيْنُ مِـنْ فِعْـلِ الْجَفَافْ، كَانَ الْخَـزَّانُ مُعَوِّضًـا لَهَـا، لِيُـزَوِّدَ الْقَرْيَـةَ بِالْـمَاءِ إِلَى أَنْ تَعُـودَ الْعَـيْنُ تَنِـزُّ مِـنْ جَديـدٍ. مَـا فَتِـئَ الْعَمَـلُ مُتَواصِـلاً بِجِـدٍّ وَحَمَاسَـة، بَـيْنَ مَـنْ يَحْمِـلُ عَـلَى كَتِفَيْـهِ الْحِجَـارَةَ، وَمَـنْ يَبْنِـي حَائِطًـا وَمَـنْ يَقُـومُ بِصَقْـلِ الْاِسْـمَنْتِ وَتَثْبِيتِـهِ فِي الْجُـدْرَانِ... حَتَّـى لاَحَـتْ مَلاَمِـحُ الْبُنْيَـانِ، واسْـتَقَامَ الْخَـزَّانُ وَاسِـعًا كَبِـيرًا، وَبَـرَزَتْ السَّـوَاقِي جَمِيلَـةَ

الْمَنْظَـرِ، وَظهَـرَ الْمَاجِـلُ شَـامِخًا بَهِيًّـا، وَقَـدْ صَـارَ حَدِيـثَ الْأَجْيَـالِ فِيـمَا بَعْـدٍ.
وَكَانَـتْ «عْوِيشِيشَـة» تُرَاقِـبُ الْعُـمَّالَ مِـنْ بَعِيـدٍ، وَالْغَيْـظُ يَمْـلَأُ قَلْبَهَـا، لِأَنَّهَـا تَيَقَّنَـتْ بِأَنَّـهُ لَـمْ يَعُـدْ لَهَـا مَـكَانٌ فِي هَـذِهِ الرُّبُـوعِ، فَقَـدْ اِنْتَبَـهَ النَّـاسُ إِلَى أَهَمِّيَـةِ الْـمَاءِ، وَتَعَلَّمُـوا حُسْـنَ اِسْـتِغْلَالِهِ، وَلَـمْ يَعُـدْ مُهْمَـلاً مِثْلَـمَا كَانَ الْأَمْـرُ فِي السَّـابِقِ.
فَرَّتْ مِنَ الْمَكانِ إِلَى غَيْرِ رِجْعَةٍ، وَاسْتَرَاحَ الْأَهَالِي مِنْ شَرِّهَا إِلَى الْأَبَدِ.
حِينَهَـا تَقَـدَّمَ الْفَـارِسُ مِـنَ الطِّفْلَـةِ، وَأَعَانَهَـا عَـلَى النُّـزُولِ مِـنْ أَعْـلَى الشَّـجَرَةِ، وَمَا إِنْ

وَطَـأَتْ قَدَمَاهَـا الْأَرْضَ، حَتَّـى تَمَشَّـتْ بِخُيَـلَاءٍ فِي اِتِّجَـاهِ الشَّـلَّالِ، وَشَرَعَـتْ فِي غَسْـلِ أَطْرَافِهَـا بَعْـدَ عَنَـاءِ يَـوْمٍ كَامِـلٍ، وَهِـيَ تُرَاقِـبُ كَيْـفَ اِجْتَهَـدَ الْفَلَّاحُـونَ، وَأَقَامُـوا عَدِيـدَ الْمُنْشَـآتِ مِـنْ أَجْـلِ حُسْـنِ التَّـصَرُّفِ فِي مِيَـاهِ الْعَـيْنِ الْجَمِيلَـةِ.

وَحـينَ أَنْهَـى الْجَمَاعَـةُ الْعَمَـلَ، عَـادَ بِهَـا الْفَـارِسُ عَـلَى حِصَانِـهِ إِلَى أَهْلِهَـا، وَالنَّـاسُ يَعُمُّهُـمْ الْفَـرَحُ، وَالْحَـمَاسُ نَتِيجَـةَ مَـا قَامُـوا بِـهِ مِـنْ جَلِيـلِ الْأَعْـمَالِ الَّتِـي بَقِيَـتْ أَعْوَامًـا طَوِيلَـةً، تَسْـتَفِيدُ مِنْهَـا كُلُّ الْأَجْيَـالِ.

الْبِئْرُ وَالْأَوْلَادُ

هذه الحكاية مستوحاة من الحكايات التقليدية المستخلصة من التراث التونسي لجزيرة قرقنة، وهي جزء من سلسلة من الحكايات الجديدة حول الماء في المغرب العربي (الجزائر، المغرب وتونس).

كُتِبَت هذه الحكاية من طرف مجموعة من النساء المتطوعات في إطار ورشة الكتابة التشاركية التي نظمها مشروع «حكواتيات مغاربيات : فاعلات التغيير للحفاظ على الماء»، وذلك في مارس 2017 م بقرقنة.

ساهمت السيدات رجاء علوش، فاطمة بشيخة، أم الزين بنعامر، اسمهان بن حميدة، رحمة بن حميدة وعايدة قشوري في كتابة هذه الحكاية، تحت تأطير الدكتور عبد الرحمان أيوب.

رسم : نادية ذهب

قام بتتبع إنجاز هذه الحكاية :

السيدات ماريا آنا رودريغيز و كيريتي روجاني (الوكالة الألمانية للتعاون الدولي) وليليا بنزيد (مرصد الصحراء والساحل).

مراجعة النص أدبيّاً وفنيّاً : جهيدة بوخالفة، مستشارة تقنية، GIZ الجزائر

تعود محتويات هذا المنشور إلى مسؤولية الوكالة الألمانية للتعاون الدولي ومرصد الصحراء والساحل.

هذا المنشور للاستخدام غير الهادف للربح، وبالتالي لا يمكن بيعه.

كَانَ فِيـمَا مَـضَى اِمْـرَأَةٌ تُدْعَـى عَائِشَـةٌ، جَمِيلَـةُ الطَّلْعَـةِ، طَوِيلَـةُ الْقَامَـةِ، مُجْتَهِـدَةٌ فِي أَدَاءِ عَمَلِهَـا فِي الْبَيْـتِ وَخَارِجَـهُ، وَقَـدْ تُـوُفِيَ زَوْجُهَـا وَتَـرَكَ لَهَـا ثَلاَثَـةَ صِغَـارٍ وَوَرَّثَهَـا مَزْرَعَـةً كَبِـيرَةً وَسَـطَ مَـرَجٍ فَسِـيحٍ، تَحْتَـوِي عَـلَى خَـيْرَاتٍ كَثِـيرَة. رَغْـمَ ذَلِـكَ لَـمْ تَكُـنْ تَمْتَلِـكُ حَنَفِيَّـةً وَلاَ سَـاقِيَةً لِيَجْـرِي الْـمَاءُ فِيهَـا، فِي حِـينِ أَنَّـهُ كَانَـتْ هُنَالِـكَ آبَـارٌ مَحْفُـورَةٌ، رَغْـمَ أَنَّ الْمَائِـدَةُ الْمَائِيَّـةَ، بَعِيـدَةٌ عَـنْ سَـطْحِ الْأَرْضِ، لاَ تِصِـلُ إِلَيْهَـا الـدِّلاَءُ إِلاَّ بِجُهْـدٍ جَهِيـدٍ، وَعُيُـونُ الْمِيَـاهِ غَائِـرَةٌ فِي أَعْـمَاقِ التُّرْبَـةِ.

كانَـتْ تِلْـكَ الْمَـرْأَةُ الْمُجْتَهِـدَةُ، تَسْـتَيْقِظُ مُنْـذُ الصَّبَـاحِ الْبَاكِـرِ، تَسْـقِي الْأَشْـجَارَ، وَتَـرْوِي شِـيَاهَهَا، وَتُطْعِـمُ دَجَاجَاتِهَـا حَبًّـا نَقِيًّـا، فَهِـيَ تَعْتَـبِرُ أَنَّ الْفِلاَحَـةَ كُلُّ حَيَاتِهَـا، وَهِـيَ الْمَـوَرِدُ الْوَحِيـدُ الَّـذِي تُعِيـلُ مِنْهَـا أَبْنَاءَهَـا. لَكِنَّهَـا غَفَلَـتْ عَـنْ تَرْبِيَـةِ أَبْنَائِهَـا عَـلَى حُسْـنِ اِسْـتِعْمَالِ الْمِيَـاهِ، وَلَـمْ تَقْـرَأْ حِسَـابًا لِلْمُسْـتَقْبِلِ بِالتَّعْوِيـلِ عَـلَى الـذَّاتِ فِيـمَا يَخُـصُّ حُسْـنَ التَّدْبِـيرِ.

بِمُـرُورِ الْأَيَّـامِ ثَقُـلَ عَلَيْهَـا الْعِـبْءُ، وَصَـارَتْ مُنْهَكَـةً بِـأَرْزَاءِ الْحَيَـاةِ، إِذْ أَنَّهَـا مَـا إِنْ تَسْـقِي غَرْسَـهَا، وَتَـرْوِي أَغْنَامَهَـا، وَتُعِـدَّ طَعَـامَ الْأَبْنَـاءِ، حَتَّـى تَشْـعُرَ بِتَعَـبٍ شَـدِيدٍ، جَـرَّاءَ إِخْـرَاجِ الْـمَاءِ مِـنَ الْبِـئْرِ، وَجَـرِّهِ بِوَاسِـطَةِ الـدِّلاَءِ مِـنْ مَـكَانٍ إِلَى مَـكَانٍ.

أَمَّـا أَبْنَاؤُهَـا فَقَـدْ أَمْعَنُـوا فِي الـدَّلاَلِ، وَلَـمْ يَتَحَمَّلُـوا مَسْـؤُولِيَتَهُمْ تُجَـاهَ أُمِّهِـمْ، وَمَـا

يَمْلِكُونَـهُ مِـنْ مَزْرُوعَـاتٍ وَحَيَـوَانٍ، حَيْـثُ يقَضُّـونَ كَامِـلَ يَوْمِهِـمْ فِي الْلَّهْـوِ وَتَبْذِيـرِ الْـمَاءِ، وَكَانُـوا إِذَا وَجَـدُوا أَيَّ شَيْءٍ أَمَامَهُـمْ، رَمَـوْهُ فِي الْبِـئْرِ حَتَّـى اِتَّسَـخَ، وَصَـارَ لاَ يَصْلَـحُ للـشُّرْبِ.

وَكَانَـتْ السَّـيِّدَةُ عَائِشَـةُ، كُلَّـمَا ضَـاقَ بِهَـا الْحَـالُ، وَاسْـوَدَّتْ الدُّنْيَـا أَمَـامَ عَيْنَيْهَـا، جَلَسَـتْ عَـلَى حَافَّـةِ الْبِـئْرِ، وَاشْـتَكَتْ لُـهُ هُمُومَهَـا، وَمَـا حَـدَثَ لَهَـا، نَتِيجَـةَ طَيْـشِ الْأَبْنَـاءِ، وَتَبْذِيرِهِـمْ لِلْمِيَـاهِ دُونَ مَعْرِفَـةِ خُطُـورَةِ انْعِكَاسِـهِ عَـلَى الْمَائِـدَةُ الْمَائِيَّـةِ الْعَمِيقَـةِ، وَكَذَلِـكَ الْأَمْـرَاضِ النَّاتِجَـةِ عَـلَى التَّلَـوُّثِ، وَفِي كُلِّ مَـرَّةٍ تَذْهَـبُ إِلَى الْمَـكَانِ نَفْسِـهِ تُنَاجِـي الْبِـئْرِ، وَتَشْـكُو لَـهُ حَالَهَـا، عَلَّهَـا تَجِـدُ مَـنْ يُصْغِـي إِلَيْهَـا حَتَّى وَلَـوْ كَانَ

جَـمَادًا. ذَاتَ يَـوْمٍ بَيْنَـمَا كَانَـتْ تُحَدِّثُـهُ بِمَـا يَجِيـشُ فِي صَدْرِهَـا، نَطَـقَ الْبِـئْرُ مُخَاطِبًـا إِيَّاهَـا قَائِـلاً:» أَيَّتُهَـا السَّـيِّدَةُ الْجَلِيلَـةُ الطَّيِّبَـةُ، الْحَـقُّ أَقُـولُ لَـكِ، بِأَنَّـهُ لاَ مَلاَمَـةَ عَـلَى أَبْنَائِـكِ الصِّغَـارِ.» فَانْدَهَشَـتْ مِـنْ مُخَاطَبَـةِ الْبِـئْرِ لَهَـا، لَكِنَّهَـا مَـا لبِثَـتْ أَنْ تَدَارَكَـتْ أَمْرَهَـا وَقَالَـتْ : « كَيْـفَ ذَلِـكَ أَيُّهَـا الْبِـئْرُ ؟ » فَقَـالَ لَهَـا الْبِـئْرُ: « السَّـبَبُ الرَّئِيـسِيُّ فِي تَقْدِيـرِي، يَكْمُـنُ فِي طَرِيقَـةِ تَرْبِيَتِـكِ لَهُـمْ، فَقَـدَ دَلَّلْتِهِـمْ أَكْـثَرَ مِـنَ اللُّـزُومِ وَلَـمْ تُقَدِّمِـي لَهُـمْ النَّصِيحَـةَ اللاَّزِمَـةَ لِلْحِفَـاظِ عَـلَى الْمِيَـاهِ، فَشَـبُّوا عَـلَى عَـادَاتٍ سَـيِّئَةٍ وَ هَـا أَنَّـهُ حَـانَ الْوَقْـتُ لِإِرْجَاعِهِـمْ إِلَى الْجَـادَّةِ، وَالطَّرِيـقِ الصَّـوَابِ.» فَـرَدَّتْ عَائِشَـةُ : « أَنَـا مُتَّفِقَـةٌ مَعَـكَ تَمَامًـا، عَـلَى أَنْ لاَ تَقُـومَ بِإِيذَائِهِـمْ، وَبِحَوْلِ اللـهِ لاَ يَكُـونُ إِلاَّ الْخَيْرُ. »

ذَاتَ يَـوْمٍ قَدِمَـتْ الْفَتَـاةُ وَرْدَةُ اِبْنَـةُ السَّـيِّدَةُ عَائِشَـةُ إِلَى الْبِـئْرِ مَـعَ إِخْوَتِهَـا وَجَلَسُـوا عَـلَى حَافَّتِـهِ، يَأْكُلُـونَ وَيَشْرَبُـونَ وَكُلَّـمَا بَقِـيَ طَعَـامٌ رَمَـوْهُ فِي الْبِـئْرِ. وَبَيْنَـمَا هُـمْ عَـلَى ذَلِـكَ الْحَـالِ، سَـمِعُوا صَوْتًـا قَوِيًّـا، مُدَوِّيًـا. لَـمْ يَفْهَمُـوا إِنْ كَانَ صَـوْتُ إِنْسَـانٍ أَوْ صَـوْتُ جَـانٍ، فَتَبَيَّنُـوا مَصْـدَرَهُ، فَـإِذَا هُـوَ صَـادِرٌ مِـنْ جَـوْفِ الْبِـئْرِ. هَـرْوَلَ الْأَبْنَـاءُ فَارِّيـنَ بَعِيـدًا عَنْـهُ، لَكِـنَّ الْـمَاءَ لَحِـقَ بِهِـمْ وَظَـلَّ يَعُـمُّ عَـلَى كَافَّـةِ الْمَزْرَعَـةِ إِلَى أَنْ حَاصَرَهُـمْ مِـنْ كُلِّ جَانِـبٍ، وَلَـمْ يَعُـدْ لَهُـمْ مِـنْ مَنْفَـذٍ يَفِـرُّونَ مِنْـهُ، وَلاَ اِسْـتَطَاعُوا التَّقَـدُّمَ أَوْ الرُّجُـوعَ، وَفِي الْأَثْنَـاءِ لَمَحُـوا الزُّبَالَـةَ الَّتِـي أَلْقَـوْا بِهَـا فِي الْبِـئْرِ تَطْفُـوا فِي كُلِّ مِـكَانٍ، حَتَّـى بَـدَتْ الْمَزْرَعَـةُ كَأَنَّهَـا مَصَـبَّ فَضَـلاَتٍ، فَقَـالَ الْبِـئْرُ : « أَنَـا الْيَـوْمَ سَـأَقُومُ بِإِغْرَاقِكُـمْ جَمِيعًـا، وَلَـنْ أَعْفُـو عَنْكُـمْ، لِأَنَّكُـمْ آذَيْتُمُـونِي، وَرَمَيْتُـمْ فِي دَاخِـلِي الْأَوْسَـاخَ، فَسَـدَدْتُمْ يَنَابِيـعَ الْمِيَـاهِ الَّتِـي أَتَغَـذَّى مِنْهَـا، وَلَـمْ يَعُـدْ طَعْمُـهُ حُلْـوَ الْمَـذَاقِ، بَـلْ صَـارَ مُـرًّا، لاَ يَنْفَـعُ النَّـاسَ، وَلاَ الْحَيَـوَانَ، وَلاَ النَّبَـاتِ، وَأَنْتُـمْ لاَ تَعُـونَ مَخَاطِـرَ أَفْعَالِكُـمْ، الَّتِـي سَـتَعُودُ عَلَيْكُـمْ بِالْوَبَـالِ، فَتَكْـثُرُ الْأَوْبِئَـةُ وَتَسْـتَشْرَى الْأَمْـرَاضُ، وَإِنْ تَمَادَيْتُـمْ عَـلَى هَـذَا السُّـلُوكِ السَّـيِّئَ، فَسَـتَتَأَزَّمُ الْأُمُـورُ أَكْـثَرَ فَأَكْـثَرَ إِلَى أَنْ يَـأْتِي يَـوْمٌ، لاَ تَجِـدُونَ فِيـهِ الْـمَاءَ وَتَتَضَـوَّرُونَ عَطَشًـا وَتُعْـصَرُونَ مِـنْ شِـدَّةِ الْجُوعِ، لِأَنَّ اللـهَ جَعَـلَ مِـنَ الْـمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَـيٍّ. »

قَـالَ الْأَبْنَـاءُ : « نَتَوَسَّـلُ إِلَيْـكَ مِـنْ أَجْـلِ أَنْ تُسَـامِحَنَا، وَمِـنَ الْآنَ لَـنْ نَعُـودَ إِلَى سَـالِفِ صَنِيعِنَـا، فَالْمُهِـمُّ أَنْ تُشِـيرَ عَلَيْنَـا بِمَـا يَجِـبُ أَنْ نَقُـومَ بِـهِ، وَنَحْـنُ نُنَفِّـذُ فِي الْحَـالِ. الْمُهِـمُّ أَنْ تَـتْرُكَ سَـبِيلَنَا، وَنَعُـودُ إِلَى أُمِّنَـا سَـالِمِينَ. »

أَجَابَهُـمْ الْبِـئْرُ قَائِـلاً : « سَأَسَـامِحُكُمْ هَـذِهِ الْمَـرَّةَ، وَلَكِـنْ قَبْـلَ ذَلِـكَ يَجِـبُ عَلَيْكُـمْ الذَّهَـابَ إِلَى وَالِدَتِكُـمْ، وَطَلَـبَ الْعَفْـوَ مِنْهَـا، لِأَنَّكُـمْ أَتْعَبْتُمُوهَـا كَثِيرًا إِلَى أَنْ أَصَابَهَـا الْوَهَـنُ. وَعَلَيْكُـمْ أَيْضًـا أَنْ تَأْتَمِـرُوا بِأَوَامِرِهَـا، لِأَنَّهَـا تَحْـرُصُ عَـلَى مَصْلَحَتِكُـمْ، وَتُرِيـدُ لَكُـمْ الْخَـيْرَ، ثُـمَّ عَلَيْكُـمْ بِمُسَـاعَدَتِهَا سَـوَاءً فِي شُـؤُونِ الْمَنـزِلِ، أَوْ فِي نَشَـاطِ الْمَزْرَعَـةِ، سَـوَاءً كَانَ ذَلِـكَ بِسَـقْيِ الْأَشْـجَارِ، أَوْ إِرْوَاءِ الْحَيَوَانَـاتِ، أَوْ إِطْعَـامِ الدَّجَاجَـاتِ، وَغَـيْرَ ذَلِـكَ مِـنَ الْأَعْـمَالِ الْمُفِيـدَةِ، وَأَنْصَحُكُـمْ بِأَنَّكُـمْ إِذَا هَمَمْتُـمْ بِغَسْـلَ أَيْدِيكُـمْ، عَلَيْكُـمِ بِالذَّهَـابِ بِالْإِبْرِيـقِ تَحْـتَ الدَّالِيَـةِ، وَسَـكْبِ الْـمِاءِ فِي حَوْضِهَـا، وَبِذَلِـكَ يَسْـتَفِيدُ الشَّـخْصُ مِـنْ غَسْـلِ يَدَيْـهِ، وَتَسْـتَفِيدُ الشَّـجَرَةُ مِـنَ الْـمَاءِ الْمُنْسَـكِبِ فَـلاَ يَضِيـعُ سُـدًى. وَهَكَـذَا يَكُـونُ حُسْـنُ التَّـصَرُّفِ فِي الْمِيَـاهِ وَاِسْـتِغْلاَلِهَا عَـلَى الْوَجْـهِ الْحَسَـنِ.»

بَقِـيَ الْأَطْفَـالُ الصِّغَـارُ يَنْظُـرُونَ إِلَى بَعْضِهِـمْ مُنْدَهِشِـينَ، وَهُـمْ يَنْظُـرُونَ إِلَى الْـمَاءِ يَتَرَاجَـعُ شَـيْئًا فَشَـيْئًا وَيَعُـودُ مِـنْ حَيْـثُ أَتَى، لَكِـنَّ الْفَضَـلاَتِ بَقِيَـتْ مُنْتَـشِرَةً فِي كُلِّ مَـكَانٍ وَكَأَنَّهَـا شَـاهِدَةٌ عَـلَى مَـا فَعَلَـهُ الْأَبْنَـاءُ طَـوَالَ كُلَّ تِلْـكَ السِّـنِينَ مِـنَ وَالتَّهَـوُّرِ

وَالْعَبَـثِ بِأَحْسَـنِ مَـا جَـادَ اللـهُ بِـهِ عَـلَى الْمَخْلُوقَـاتِ وَهُـوَ الْـمَاءُ. فَأَقْبَـلَ الْأَبْنَـاءُ عَـلَى تَجْمِيـعِ الْفَضَـلاَتِ الْمُتَكَوِّنَـةِ مِـنَ الْأَوْرَاقِ، وَبَقَايَا الطَّعَـامِ وَالْأَكْيَاسِ الْبَلاَسْـتِيكِيَّةِ وَغَيْرِهَـا، وَلَـمْ تَمْـضِ سُـوَيْعَاتٌ، حَتَّـى أَصْبَـحَ الْمَـكَانُ نَظِيفًـا يَحْلُـو فِيـهِ الْجُلُـوسُ، وَعِنْدَمَـا أَتَمُّـوا عَمَلَهُـمْ رَأَوْا أُمَّهُـمْ وَاقِفَـةً، وَهِـيَ تَبْتَسِـمُ وَفِي عَيْنَيْهَـا عَلاَمَـاتُ الرِّضَـا، وَعَـلَى مَلاَمِحِهَـا بَشَـائِرُ السَّـعَادَةِ.

السُّلْطَانُ وَالْفِيلُ

هذه الحكاية مستوحاة من الحكايات التقليدية المستخلصة من التراث التونسي لجزيرة قرقنة، وهي جزء من سلسلة من الحكايات الجديدة حول الماء في المغرب العربي (الجزائر، المغرب وتونس).

كُتِبَت هذه الحكاية من طرف مجموعة من النساء المتطوعات في إطار ورشة الكتابة التشاركية التي نظمها مشروع «حكواتيات مغاربيات : فاعلات التغيير للحفاظ على الماء»، وذلك في مارس 2017 م بقرقنة.

ساهمت السيدات رجاء علوش، فاطمة بشيخة، أم الزين بنعامر، اسمهان بن حميدة، رحمة بن حميدة وعايدة قشوري في كتابة هذه الحكاية، تحت تأطير الدكتور عبد الرحمان أيوب.

رسم : نادية ذهب

قام بتتبع إنجاز هذه الحكاية :

السيدات ماريا آنا رودريغيز و كيريتي روجاني (الوكالة الألمانية للتعاون الدولي) وليليا بنزيد (مرصد الصحراء والساحل).

مراجعة النص أدبيّاً وفنيّاً : جهيدة بوخالفة، مستشارة تقنية، GIZ الجزائر

تعود محتويات هذا المنشور إلى مسؤولية الوكالة الألمانية للتعاون الدولي ومرصد الصحراء والساحل.

هذا المنشور للاستخدام غير الهادف للربح، وبالتالي لا يمكن بيعه.

كَانَ يَا مَا كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، سُلْطَانٌ يَمْتَلِكُ فِيلاً رَبَّاهُ فِي زَرِيبَتِهِ، وَلَدَيْهِ عَيْنُ مَاءٍ تُسْقَى مِنْهَا الْحُقُولُ، وَيَشْرَبُ مِنْهَا السُّكَّانُ، وَيُورِدُونَ شِيَاهَهُمْ. فَاتَّفَقَ مَعَ أَهَالِي الْبِلاَدِ، بِأَنْ يَتَدَاوَلُوا عَلَى اِسْتِغْلاَلِ تِلْكَ الْعَيْنِ مَعَ الْفِيلِ، إِذْ أَنَّهُمْ دَالَةً يَمْلَؤُونَ هُمْ مِنَ الْعَيْنِ، وَدَالَةً أُخْرَى يَشْرُبُ الْفِيلُ. وَلَكِنَّ الْمَاءَ الْمُتَوَفِّرُ، لَمْ يَكُنْ كَافِيًا لِلْجَمِيعِ، وَبَقَوْا فِي حَالَةِ عَطَشٍ وَجُوعٍ. فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى السُّلْطَانِ لِلتَّشَكِّي لَهُ، لَكِنَّ الْخَوْفَ أَقْعَدَهُمْ، وَأَحْبَطَ عَزَائِمَهُمْ. فَكَيْفَ بِوُسْعِهِمْ مُقَابَلَةَ السُّلْطَانِ، وَالتَّظَلُّمَ لَهُ مِنَ الْفِيلِ الَّذِي يَمْتَلِكَهُ؟، وهُوَ مَنْ أَمَرَ بِأَنْ يَشْرِبَ مِنْ تِلْكَ الْعَيْنِ، كَمَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ الْخَصْمَ وَالْحَكَمَ.

كَانَ الْأَهَالِي يَتَذَمَّرُونَ فِي سِرِّهِمْ، هَامِسِينَ إِلَى بَعْضِهِمْ قَائِلِينَ، هَلْ يُعْقَلُ أَنْ يَشْرِبَ الْفِيلُ يَوْمًا كَامِلاً، وَيَشْرِبَ كُلُّ الْأَهَالِي يَوْمًا وَاحِدًا مِثْلَهُ؟، وَزِدْ عَلَى ذَلِكَ سَقْيِهِمْ الْأَشْجَارِ، وَالنَّبَاتَاتِ. فَمِنْ أَيْنَ سَيَأْتُوا بِالْمَاءِ لِإِرْوَاءِ أَغْنَامِهِمْ، وَخُيُولِهِمْ، وَإِعْدَادِ طَعَامِهِمْ؟، وَكَيْفَ يُمْكِنُ لَهُمْ إِسْكَاتَ جُوعِهِمْ، وَقَدْ جَفَّتْ الْأَرْضُ وَاصْفَرَّتْ أَوْرَاقُ الْأَشْجَارُ، وَتَيَبَّسَتْ النَّبَاتَاتُ؟. فَالْمَاءُ يُمَثِّلُ لَهُمْ كُلَّ حَيَاتِهِمْ، وَحَيَاةِ ذُرِّيَتِهُمْ وَأَغْنَامِهُمْ.

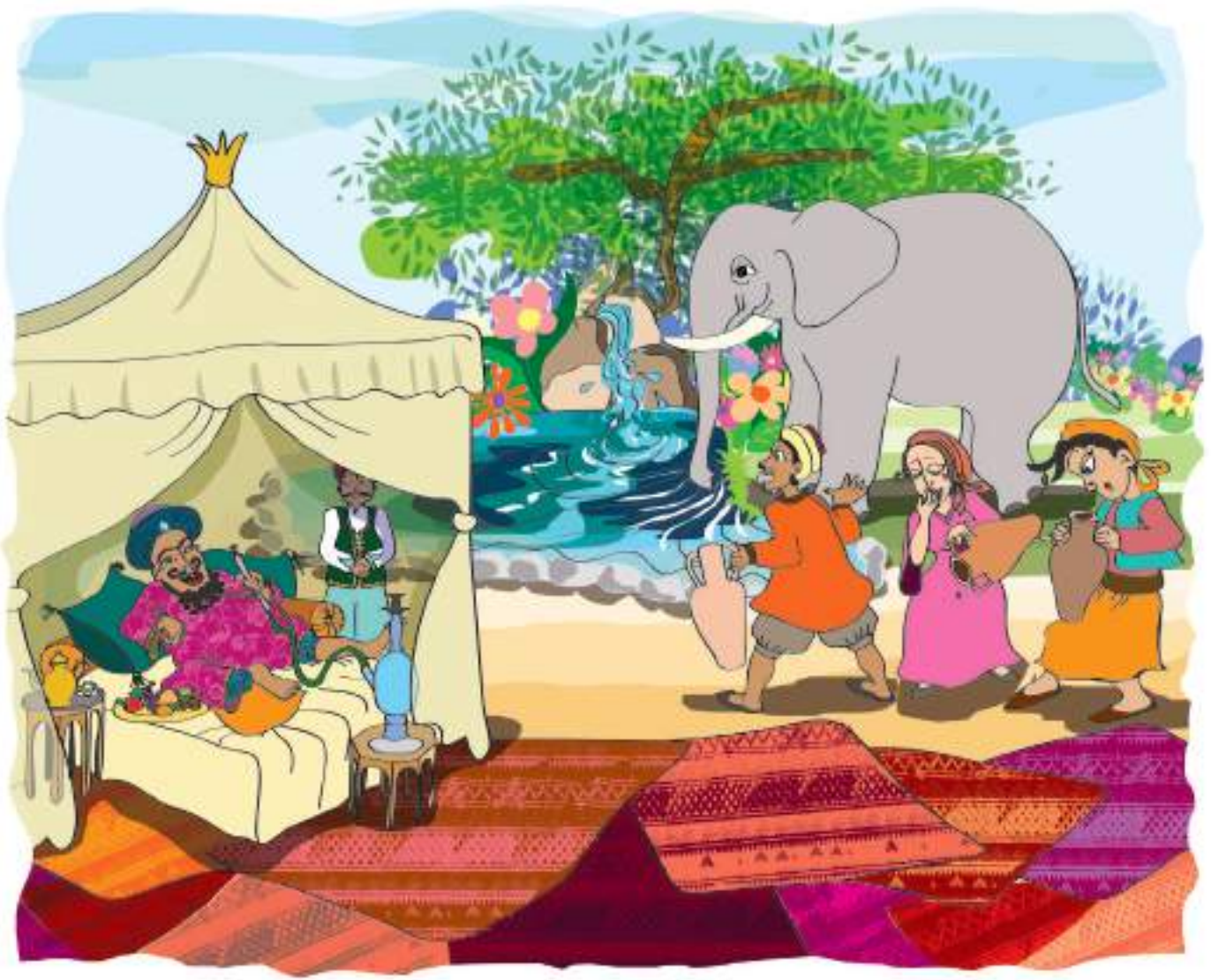

وَكَانُوا يَتَسَاءَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ أَيْضًا:» مَا هَذَا الْفِيلُ الَّذِي اِبْتُلِينَا بِهِ؟، وَقَدْ أَصْبَحَ يَصُولُ وَيَجُولُ فِي الْبِلَادِ، بِخُرْطُومِهِ الطَّوِيلِ، وَبِمُجَرَّدِ اِمْتِصَاصِهِ لِلْمَاءِ، تَجُفُّ الْعَيْنُ. وَفِي آخِرِ الْأَمْرِ اِتَّفَقُوا عَلَى الذَّهَابِ إِلَى الْحَكِيمِ، وَهُوَ رَجُلٌ عَلَيْهِ هَالَةٌ مِنَ النُّورِ، أَبْيَضُ الشَّعْرِ، يُوَقِّرُهُ الْجَمِيعُ، لِمَا يَمْتَازُ بِهِ مِنْ حِكْمَةٍ، وَوَجَاهَةِ رَأْيٍ، وَمِنْ كَثْرَةِ قِرَاءَةِ الْكُتُبِ، عَشِيَتْ عَيْنَاهُ.

تَقَدَّمَ كَبِيرُهُمْ وَيُدْعَى الْعَيَّادِي الْجَمَّالْ وَقَالُ لَهُ : « يَا سَدِيدَ الرَّأْيُ، أَيُّهَا الْحَكِيمُ، جِئْنَاكَ مِنْ أَجْلِ إِيجَادِ حَلٍّ لَنَا، يَتَعَلَّقُ بِفِيلِ السُّلْطَانِ، وَقَدْ أَطْلَقَ لَهُ الْعِنَانَ فِي الْبِلَادِ، وَأَفْرَغَ الْعَيْنَ مِنَ الْمَاءِ، وَلَمْ يَعُدْ لَنَا مَا نَشْرُبُ، وَأَدْرَكَ

شِـيَاهُنَا الْعَطَـشُ، وَتَسَـاقَطَتْ أَوْرَاقُ النَّبَاتَـاتِ مِـنَ الْجَفَـافِ، وَهَلَكَـتْ شِـيَاهُنَا. »
قَـالَ الْحَكِيـمُ : « اِسْـتَمِعُوا إِلَيَّ، يَـا جَمَاعَـةُ. كَيْـفَ تَبْحَثُـونَ عَـنْ حَـلٍّ وَهُـوَ فِي مُتَنَاوُلِ أَيَادِيكُمْ ؟ »
رَدَّ الرَّجُـلُ : « كَيْـفَ تَقُـولُ ذَلِـكَ يَـا سَـيِّدِي الْحَكِيـمُ، وَنَحْـنُ لَدَيْنَـا يَـوْمٌ وَاحِـدٌ نَسْـقِي فِيـهِ أَرْضَنَـا الَّتِـي حَرَثْنَاهَـا، وَنَـرْوِي بِـهِ شِـيَاهَنَا الَّتِـي اشْـتَرَيْنَاهَا، وَالنَّبْتَـةَ الَّتِـي زَرَعْنَاهَـا، وَالْأَشْـجَارَ الَّتِـي رَعَيْنَاهَـا؟ فَهَـلْ يَكْفِينَـا هَـذَا الْقَـدْرُ الْيَسِـيرُ مِـنَ الْـمَاءِ لِطَهْـوِ الطَّعَـامِ، وَالْاِغْتِسَـالِ، وَتَنْظِيـفِ أَمْتِعَتِنَـا. »
أَجَابَ الْحَكِيمُ : « فَهَلْ يُعْقَلُ تَبْذِيرُ كُلِّ الْمَاءِ الَّذِي تَتَحَصَّلُونَ عَلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَامِلٍ. »

رَدَّ وَاحِدٌ مِنَ الْجَمَاعَةِ : « وَمَتَى كَانَتْ دَالَةُ يَوْمٍ تَكْفِي لِأَكْثَرَ مِنْ يَوْمٍ ؟ »

قَالَ الْحَكِيمُ : « مَنْ بَذَّرَ قِطْرَةً مِنَ الْمَاءِ، بَاتَ يَشْكُو مِنَ الْعَطَشِ، فَلَوْ كُنْتُمْ تَقْتَدُونَ بِعَوَائِدِنَا فِي الْحِفَاظِ عَلَى الْمَاءِ، لَكَانَتْ الْبَرَكَةُ قَدْ حَصُلَتْ. أَلَمْ يُشَيِّدْ أَجْدَادُنَا السُّدُودَ، وَالْمَاجِلَ، وَأَحْدَثُوا السَّوَاقِي، لِيُحَافِظُوا عَلَى الْمَاءِ النَّازِلِ مِنْ مُزْنِ السَّمَاءِ، وَأَذْكُرُ أَنَّهُ عِنْدَمَا كَانَتْ تَشُحُّ عَلَيْنَا الْأَمْطَارُ، نَجِدُ كُلَّ الْبَرَكَةِ فِيمَا اِدَّخَرْنَا مِنَ الْمِيَاهِ، وَنُكَفِّي حَاجَاتِنَا مِنْ سَقْيٍ وَشُرْبٍ وَغَسِيلٍ. وَكُنَّا نَسْعَى لِكَيْ لاَ تَضِيعَ مِنْهُ قَطْرَةً وَاحِدَةً، فَهْوَ أَوْلَى بِأَنْ نَسْقِي بِهِ عُرْفَ نَعْنَاعٍ أَوَ حَبَقَةً أو يَاسَمِينَةً. »

فَأَرْدَفَ الْعَيَّادِي الْجَمَّالُ قَائِلاً:» لَكِنْ مَا هُوَ الْحَلْ ؟ »

قَالَ الْحَكِيمُ:» لَنْ أَذْهَبَ لِلْتَّحَاوُرِ مَعَ السُّلْطَانِ عِوَضًا عَنْكُمْ، وَمِنَ الْأَجْدَرِ أَنْ تَأْتُوا مَعِي. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا يُدْلِي بِرَأيِهِ، وَيَقُولُ كَلِمَتُهُ. »

وَعِنْدَمَا وَصَلُوا إِلَى الْقَصْرِ، أَمَرَ السُّلْطَانُ وَزِيرَهُ الْأَكْبَرَ بالنَّظَرِ فِيمَا يَحْصُلُ، وَيَعْلَمَ سِرَّ الْجَلَبَةِ. فَسَأَلَهُمْ الْوَزِيرُ عَنْ سَبَبِ قُدُومِهِمْ، فَقَالَ لَهُ الْعَيَّادِي الْجَمَّالُ : « جِئْنَا مِنْ أَجْلِ مُقَابَلَةِ سَيِّدِي السُّلْطَان. »

وَعِنْدَمَا مَثَلُوا أَمَامَهُ، وَسَأَلَهُمْ السُّلْطَانُ عَنْ حَاجَتِهِمْ. قَالَ لَهُ الْحَكِيمُ : « أَطَالَ

اللـهُ عُمُـرَكَ يَـا سَـيِّدِي السُّـلْطَان، لَقَـدْ جِئْنَـا مِـنْ أَجْـلِ الْفِيـلِ... »
فزَمْجَرَ السُّلْطَانُ فِيهِمْ قَائِلاً : « تَكَلَّمْ مَا بِهِ الْفِيلُ، هَلْ أَصَابَهُ مَكْرُوهٌ... »
فسَـكَتَ الْجَمِيـعُ خشْـيَةً مِـنْ رَدِّ فِعْـلِ السُّـلْطَانِ جَـرَّاءَ غَضَبِـهِ عَلَيْهِـمْ، وَلَـمْ يَسْـتَطِعْ أَيُّ فَـرْدٍ مِنْهُـمْ النُّطْـقَ وَلَـوْ بِحَـرْفٍ وَاحِـدٍ، فَأَعَـادَ السُّـلْطَانُ السُّـؤَالَ، وَالـشَّرَرُ يَتَطَايَـرُ مِـنْ عَيْنَيْـهِ، وَالْجَمَاعَـةُ لاَ حَيَـاةَ لِمَـنْ تُنَـادِي حَيْـثُ سَـادَ صَمْـتٌ ثَقِيـلٌ.
فتَلَعْثَـمَ الْعَيَّـادِي الْجَـمَّال، وَأَدْرَكَ فِي قَـرَارَةِ نَفْسِـهِ الْخَطَـرَ، فَتَـدَارَكَ الْأَمْـرَ بِسُرْعَـةٍ قَائِـلاً : « ... الْفِيـلُ يَـا سَـيِّدِي ظَـلَّ وَحِيـدًا مَهْمُومًـا، فَفَكَّرْنَـا أَنْ نَسْتَسْـمِحَكَ مِـنْ أَجْـلِ أَنْ تَـأْتِي لَـهُ بِفِيلَـةٍ، تُؤْنِسُـهُ فِي وِحْدَتِـه. »
فَضَحِـكَ السُّـلْطَانُ وَقَـالَ : « هَـذَا أَمْـرٌ هَـيِّنٌ، سَـنَأْتِي لَـهُ بِفِيلَـةٍ كَيْ لاَ يَبْقَـى وَحِيـدًا مَهْمُومًـا مِثْلَـمَا ذَكَـرْتَ. »
عَـادَ الْجَمَاعَـةُ مِـنْ قَـصْرِ السُّـلْطَانِ يَجُـرُّونَ أَذْيَـالَ الْخَيْبَـةِ، غَاضِبِـينَ، وَقَـدْ أَرَادُوا التَّخَلُّـصَ مِـنَ الْفِيـلِ فَأضافـوا فِيلَـةً.
وَعِنْدَمَـا وَصَلُـوا إِلَى مَوْطِنِهِـمْ، قَالَـتْ كَبِيرَتُهُـمْ السَّـيْدَةُ عَزِيـزَةُ : « دَعُـوا الْأَمْـرَ لِي، وَلاَ تَكْتَرِثـوا بِمَـا حَصَـلَ.» وَفِي الْحِـينِ ذَهَبَـتْ إِلَى دَالِيَـةٍ وَسَـطَ حَدِيقَـةِ مَنْزِلِهَـا، وَقَطَعَـتْ عُنْقُـودَ عِنَـبٍ ذَهَبِـيَّ اللَّـوْنِ شَـهِيًّا، وَذَهَبَـتْ بِـهِ إِلَى السُّـلْطَانِ، وَأَهْدَتْـهُ لَـهُ، وَعَـادَتْ

مِـنْ حَيْـثُ أَتَـتْ. وَمِـنَ الْغَـدِ أَعَـادَتْ الْفِعْـلَ نَفْسَـهِ، وَعِنْدَمَـا تَـذَوَّقَ السُّـلْطَانُ الْعِنَـبَ، سَـأَلَ وَزِيـرَهُ : « مِـنْ أَيِّ حَقْـلٍ هَـذَا الْعِنَـبُ الَّـذِي لَـمْ أَذُقْ مِثْلَـهُ ؟ » فَقَـالَ الْوَزِيـرُ : « لاَ عِلْـمَ لِي سَـيِّدِي بِذَلِـكَ. »

فِي الْيَـوْمِ الثَّالِـثِ اِفْتَقَـدَ السُّـلْطَانُ السَّـيْدَةُ عَزِيـزَةُ، لِأَنَّها تَغَيَّبَتْ فَأَرْسَـلَ إِلَيْهَا حُرَّاسَـهُ لِاسْـتِقْدَامِهَا. وَعِنْدَمَـا جَـاءَتْ سَـأَلَهَا عَـنْ عُنْقُـودِ الْعِنَـبِ. فَقَالَـتْ لَـهُ: « لَقَـدْ أَكَلَـهُ الْفِيـلُ يَـا سَـيِّدِي.» فَسَـأَلَ السُّـلْطَانُ مُتَعَجِّبًـا : « وَكَيْـفَ ذَلِـكَ؟» فَأَجَابَـتْ : « الْـمَاءُ الَّـذِي أَسْـقِي بِـهِ الدَّالِيَـةَ يَـا سَـيِّدِي شَرِبَـهُ الْفِيـلُ، وَلَـمْ يَـتْرُكْ لَنَـا مَـاءً لِلـشُّرْبِ، وَقَـدْ جَفَّـتْ الْأَرْضُ، وَعَطَشَـتْ الْأَشْـجَارُ، وَلَـمْ تَعُـدْ تُثْمِـرُ، وَلَـمْ يَبْـقَ لَـدَيَّ سِـوَى هَذَيْـنِ الْعُنْقُودَيْـنِ. »

فنَـادَى السُّـلْطَانُ كَبِـيرَ الْمُهَنْدِسِـينَ، وَأَمَـرَهُ بِبِنَـاءِ جَابِيَـةٍ لِلْفِيـلِ، وَمَلْئِهَـا مَـاءً كَيْ يَـشْرِبَ مِنْهَـا مَـرَّةً فِي الْأُسْـبُوعِ، وَبَقِيَّـةُ الْأَيَّـامِ لِسُـكَّانِ الْبِـلاَدِ، لِتَعُـودَ الْأَرْضُ تَهَـبُ خَيْرَاتَهَـا، وَتُثْمِـرُ الْأَشْـجَارُ مِـنْ جَدِيـد.

السَّـــقَّاءْ

هذه الحكاية مستوحاة من الحكايات التقليدية المستخلصة من التراث التونسي لجزيرة قرقنة، وهي جزء من سلسلة من الحكايات الجديدة حول الماء في المغرب العربي (الجزائر، المغرب وتونس).

كُتِبَت هذه الحكاية من طرف مجموعة من النساء المتطوعات في إطار ورشة الكتابة التشاركية التي نظمها مشروع «حكواتيات مغاربيات : فاعلات التغيير للحفاظ على الماء»، وذلك في مارس 2017 م بقرقنة.

ساهمت السيدات رجاء علوش، فاطمة بشيخة، أم الزين بنعامر، اسمهان بن حميدة، رحمة بن حميدة وعايدة قشوري في كتابة هذه الحكاية، تحت تأطير الدكتور عبد الرحمان أيوب.

رسم : نادية ذهب

قام بتتبع إنجاز هذه الحكاية :

السيدات ماريا آنا رودريغيز و كيريتي روجاني (الوكالة الألمانية للتعاون الدولي) وليليا بنزيد (مرصد الصحراء والساحل).

مراجعة النص أدبيّاً وفنيّاً : جهيدة بوخالفة، مستشارة تقنية، GIZ الجزائر

تعود محتويات هذا المنشور إلى مسؤولية الوكالة الألمانية للتعاون الدولي ومرصد الصحراء والساحل.

هذا المنشور للاستخدام غير الهادف للربح، وبالتالي لا يمكن بيعه.

كَانَ يَـا مَـا كَانْ فِي قَدِيـمِ الزَّمَـانِ، تَاجِـر مُجَوْهَـرَاتٍ، يَعِيـشُ مَـعَ زَوْجَتِـهِ وَأَبْنَائِـهِ، فِي رَغَـدٍ مِـنَ الْعَيْـشِ وَالْأَمَـانِ، وَقَـدْ رَزَقَـهُ اللـهُ بِابْنَـيْنِ، وَفَتَـاةٍ جَمِيلَـةٍ فِي غَايَـةٍ مِـنَ الصَّـلَاحِ وَحُسْـنِ التَّدْبِـيرِ، وَلَكِـنْ كَانَـتْ زَوْجَتُـهُ، لاَ يَهْـدَأُ لَهَـا بَـالٌ أَبَـدًا، فَهِـيَ تُقَـضِّي يَوْمَهَـا فِي تَنْظِيـفِ الْمَنْـزِلِ، وَغَسْـلِ لَـوَازِمِ الْبَيْـتِ مِـنْ صُحُـونٍ، وَفِـرَاشٍ إِلَى أَنْ وَصَـلَ بِهَا الْأَمْرُ إِلَى مَا يُشْبِهُ الْوَسْوَسَةِ وَالتَّبْذِيرِ.

فَقَـدْ كَانَـتْ لاَ تَـكِلُّ وَلاَ تَمَـلَّ مِـنَ الْاِنْتِقَـالِ مـن غرفـة إلى غرفـة، وَالدَّلْـوُ فِي يَدِهَـا يَرْشَـحُ بِمِيَـاهِ الْبِـئْرِ، تَسْـكُبُه فِي الْحُجْـرَاتِ دُونَ تَفْكِـيرٍ أَوْ تَدْبِـيرٍ. وَمَـا زَادَ الطِّـينُ بَلَّـةٍ، هُـوَ أَنَّ اِبْنَيْهَـا صَـارَا يُقَلِّدَانِهَـا فِي كُلِّ مَـا تَقُـومُ بِـهِ، وَشَـبَّا عَـلَى الْإِسْرَافِ فِي تَبْذِيـرِ الْمِيَـاهِ. إِذْ تَرَاهُـمَا يَلْهُـوَانِ بِهَـا كَامِـلَ الْوَقْـتِ، يَمْـلَآنِ الْجَابِيَـةَ وَيُفْرِغَانِهَـا، وَهُـمَا يَسْـبَحَانِ فِيهَـا كَأَنَّهُـمَا بَطَّتَـيْنِ، وَالْـمَاءُ مُنْسَـكِبٌ فِي السَّـوَاقِي، وَمِنْهَـا إِلَى خَـارِجِ الْمَنْـزِلِ، مُكَوِّنًـا بِرْكَـةً مِـنَ الْغُـدْرَانِ، لاَ يَسْـتَفِيدُ مِنْـهُ إِنْسَـانٌ وَلاَ شَـجَرَةٌ أَوْ حَيَـوَانٌ. لَكِـنَّ الطِّفْلَـةَ الرَّشِـيقَةَ، تَرَبَّـتْ عَـلَى خِـلَافِ طَبَائِـعِ أَخَوَيْهَـا، فَهِـيَ تَعْـرِفُ كَيْـفَ تَقْتَصِـدُ فِي الْـمَاءِ، وَتُحْسِـنُ التَّـصَرُّفَ فِيـهِ. فَتَرَاهَـا تُنْقِـلُ أَدْبَاشَـهَا مِـنْ مَـكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، خَشْيَةَ أَنْ يُصِيبُهَا الْبَلَلُ.

وَكَانَ وَالِدُهُـمْ كُلَّـمَا دَخَـلَ الْمَنْـزِلَ، لاَحَـظَ اِسْـتِهْتَارَ زَوْجَتِـهُ وَأَبْنَائِـهُ بِاسْـتِعْمَالِ

الْمِيَـاهِ، فَـتَثُورُ ثَائِرَتُـهُ، وَيَتَّجِـهُ إِلَيْهِـمْ مُحْتَجًّـا عَـلَى سُـوءِ تَصَرُّفِهِـمْ، نَاصِحًـا إِيَّاهُـمْ بِعَـدَمِ تَبْذِيـرِهِ، بِاعْتِبَـارِهِ مَصْـدَرَ الْحَيَـاةِ عَـلَى الْأَرْضِ. لَكِـنَّ زَوْجَتَـهُ تُبْـدِي عَـدَمَ اِكْتِرَاثِهَـا بِالْأَمْـرِ وَتُجِيبُـهُ:» الْـمَاءَ لاَ يُمْكِـنُ أَنْ يَنْفَـدَ أَبَـدًا، لِأَنَّ الْمَطَـرَ يُعِيـدُهُ مِـنْ جَدِيـدٍ مِهْـمَا تَبَـدَّدَ فِي الـتُّرَابِ وَتَـلاَشَى،» وَتَنْصَحُـهُ بِأَنَّـهُ لاَ دَاعِـي مِـنَ الشُّـحِّ فِيـهِ». فَيُجِيبُهَـا بِـدَوْرِهِ:» النَّظَافَـةَ لَهَـا حُـدُودٌ، وَكُلَّ إِفْـرَاطٍ فِي ذَلِـكَ، يُصْبِـحُ وَسْوَسَـةً، وَأَيَّ شَيْءٍ إِذَا بَلَـغَ حَـدَّهُ اِنْقَلَـبَ إِلَى ضِـدِّهِ.» لَكِنَّهَـا تُـصِرُّ عَـلَى رَأْيَهَـا، مُعْتَـبِرَةً أَنَّ مِثْـلَ هَـذِهِ الْأُمُـورِ، لاَ يُمْكِـنُ أَنْ يَفْقَـهَ فِيهَـا، عَـلَى خِـلاَفِ دِرَايَتِـهِ بِشُـغْلِهِ الْمُتَمَثِّـلِ فِي صِيَاغَـةِ أَسَـاورَةَ الذَّهَـبِ وَالْفِضَّـةِ، فَيَنْـصَرِفُ الْمِسْـكِينُ دُونَ أَنْ يَجِـدَ مَـنْ يُصْغِـي إِلَى كَلاَمِهِ، وَيَنْتَصِحَ بِنَصَائِحِهِ.

وَذَاتَ يَـوْمٍ بَيْنَـمَا كَانَ التَّاجِـرُ ذَاهِبًـا فِي اِتِّجَـاهِ دُكَّانِـهِ، وَهُـوَ يَشُـقُّ السُّـوقَ، رَأَى سَـقَّاءٌ شَـابٌّ يَحْمِـلُ جَـرَّةً عَـلَى كَتِفِـهِ مَلْآنَـةً مَـاءً، فَبَـادَرَهُ الشَّـابُّ بِالتَّحِيَّـةِ قَائِـلاً لَـهُ:» هَـلْ تُرِيـدُ يَـا سَـيِّدِي أَنْ أُنَاوِلَـكَ شَرْبَـةَ مَـاءٍ بَـارِدٍ، تُحَفِّـزُ نَشَـاطَكَ هَـذَا الصَّبَـاحِ؟» فَأَجَابَـهُ التَّاجِـرُ:» هَـذَا مُقْـتَرَحٌ جَيِّـدٌ يَـا بُنَـيَّ، بَـارَكَ اللـهُ فِيـكَ وَأَعَانَـكَ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ.» ثُمَّ شَرِبَ مِنْ إِنَاءٍ فَخَّارٍ نَظِيفٍ، وَوَاصَلَ طَرِيقَهُ إِلَى عَمَلِهِ.

كَانَ التَّاجِـرُ كُلَّـمَا مَـرَّ مِـنْ ذَاكَ الْمَـكَانِ وَجَـدَ السَّـقَّاءَ، يُنَـاوِلُ الْمَارِّيـنَ الْـمَاءَ فِي

طَقْسٍ حَارٍّ، وَهُمْ يَدْعُونَ لَهُ بِالصَّحَّةِ وَالرِّزْقِ وَطُولِ الْعُمْرِ. فَأَثَارَ هَذَا السُّلُوكُ فُضُولَهُ، وَقَرَّرَ أَنْ يَسْأَلَ الشَّابَّ عَنْ سَبَبِ مَا يَقُومُ بِهِ.

فَقَالَ لَهُ:» قُلْ لِي يَا بُنَيَّ هَلْ تَهَبُ الْمَاءَ لِعَابِرِي السَّبِيلِ دُونَ مُقَابِلٍ؟ أَمْ أَنَّ النَّاسَ يُؤْجِرُونَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ »

فَأَجَابَهُ الشَّابّ ُ: « أَنَا أَمْنَحُ الْمَاءُ لِلْعَابِرِينَ مِنْ هَذَا السُّوقِ، لِيُطْفِئُوا نَارَ الْعَطَشِ فِي هَذَا الْحَرِّ، فَمِنْ مَنَحَنِي مَالاً كُنْتُ شَاكِرًا لَهُ وَرَبِحْتُ أَجْرًا مَادِيًّا، وَمِنْ اِكْتَفَى بِالدُّعَاءِ لِي بِالْخَيْرِ، صِرْتُ رَابِحًا أَيْضًا أَجْرًا سَمَاوِيًّا، لِذَلِكَ فِي الْحَالَتَيْنِ أَحْصُلُ عَلَى أَجْرٍ. »

فَأَجَابَ الْتَّاجِرُ : « وَلِمَاذَا لاَ تَتَعَلَّمُ حِرْفَةَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، لِتَقِيَكَ مِنْ غَوَائِلِ الدَّهْرِ، وَتَكْسِبَ مِنْهَا مَالاً وَفِيرًا ؟ »

فَقَالَ السَّقَّاءُ : « إِذَا أَرَدْتَ الْحَدِيثَ عَنْ الْفِضَّةِ، فَإِنَّ أَخِي الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ مِنِّي قَدْ وَرِثَهَا عَنْ أَبِي، أَمَّا أَخِي الْأَكْبَرُ فَقَدْ وَرِثَ عَنْهُ الذَّهَبَ. »

فَأَجَابَ التَّاجِرُ : « وَأَنْتَ يَا ابْنِي، مَاذَا وَرَّثَكَ أَبُوكَ؟» فَأَجَابَ السَّقَّاءُ مَرَّةً أُخْرَى : « لَقَدْ وَرَّثَنِي مَا هُوَ أَهَمُّ مِنْهُمَا مَعًا، وَلَوْلاَهُ مَا اِسْتَقَامَتْ الْحَيَاةُ... لَقَدْ وَرِثْتُ عَنْهُ آبَارَ الْمَاءِ يَا سَيِّدِي، وَأَوْصَانِي بِالْحِفَاظِ عَلَيْهِ، وَنُصْحِ النَّاسِ بِمَعْرِفَةِ

قِيمَتِهِ، وَحُسْنِ اِسْتِغْلاَلِهِ. »

بَقِيَ التَّاجِرُ يَتَذَكَّرُ مَا حَصَلَ فِي مَنْزِلِهِ مِنْ تَبْذِيرٍ لِلْمَاءِ، وَكَيْفَ أَنَّ هَذَا الْفَتَى قَدْ فَهِمَ الْعِبْرَةَ مِنْ أَهَمِّيَةِ الْمَاءِ، وَكَرَّسَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِ تَحْسِيسِ النَّاسِ بِأَهَمِّيَتِهِ، فَأَطْرَقَ يُفَكِّرُ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى السَّقَّاءِ قَائِلاً لَهُ:» مَا رَأْيُكَ إِنْ دَعَوْتُكَ، إِلَى مَنْزِلِي غَدًا لِتَكُونَ ضَيْفًا عَلَى أُسْرَتِي، وَنَتَنَاوَلُ مَعًا الْغِذَاءَ ؟ »

تَعَجَّبَ الشَّابُّ، وَتَسَاءَلَ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ « كَيْفَ لِهَذَا الرَّجُلِ الْغَنِّي أَنْ يَدْعُوَنِي إِلَى مَنْزِلِهِ، وَأَنَا سَقَّاءٌ فَقِيرَ الْحَالِ، لاَ يُمْكِنُ أَنْ أَنْفَعَهُ بِشَيْءٍ ؟ » لَكِنَّهُ قَرَّرَ فِي الْأَخِيرِ، قُبُولَ دَعْوَةَ التَّاجِرِ لَهُ.

عَادَ التَّاجِرُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَأَخْبَرَ زَوْجَتَهُ، بِنَبَإِ قُدُومِ الضَّيْفِ، فَفَرِحَتْ بِذَلِكَ، وَتَاقَتْ نَفْسُهَا لِرُؤْيَةِ أَحَدِ أَعْيَانِ الْبِلاَدِ يَأْتِي إِلَى مَنْزِلِهِمْ، وَيَحِلَّ عَلَيْهِمْ مُبَجَّلاً مُكَرَّمًا. فَاسْتَيْقَظَتْ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ هِيَ وَابْنَتِهَا، وَبَدَأَتَا فِي إِعْدَادِ أَصْنَافٍ شَهِيَّةٍ مِنَ الطَّعَامِ، وَإِحْضَارِ الْغِلاَلِ بِشَتَّى أَصْنَافِهَا.

وَبَعْدَ صَلاَةِ الظُّهْرِ سَمِعَتْ طَرْقَ الْبَابِ، فَخَرَجَتْ مِنْ حُجْرَتِهَا مُسْرِعَةً، لِاسْتِقْبَالِ زَوْجِهَا وَالضَّيْفِ الْمُبَجَّلِ، وَعِنْدَمَا فَتَحَتْ الْأُمُّ الْبَابَ دَخَلَ زَوْجُهَا، وَمَعَهُ شَابٌّ فَقِيرُ الْحَالِ يَحْمِلُ جَرَّةً عَلَى كَتِفِهِ، فَتَرَاجَعَتْ إِلَى الْوَرَاءِ مِنْ فَرْطِ الصَّدْمَةِ، ثُمَّ

تَدَارَكَتْ أَمْرَهَا، وَمَدَّتْ يَدًا مُرْتَخِيَّةً إِلَيْهِ ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ خَاطَبَهَا زَوْجُهَا مُبْتَسِمًا، بِإِحْضَارِ الطَّعَامِ لِهَذَا الشَّابِّ، فَرَاحَتْ إِلَى الْمَطْبَخِ مُتَثَاقِلَةَ الْخُطَى. وَبَعْدَ قَلِيلٍ نَادَتْ زَوْجَهَا، قَائِلَةً لَهُ بِنَبْرَةِ عِتَابٍ : « مَنْ يَكُونُ هَذَا الْبَائِسُ الَّذِي اِسْتَضَفْتَهُ الْيَوْمَ، لِمَ لَمْ تَكْفِنَا عَنَاءَ إِحْضَارِ كُلِّ هَذَا الطَّعَامِ ؟ » فَأَجَابَهَا الزَّوْجُ : « لَعَلَّ هَذَا الْفَتَى يَحْمِلُ لَنَا بَرَكَةً، لاَ تَكُونُ لَدَى أَعْيَانِ الْقَوْمِ... هَيَّا اِحْضِرِي لَنَا الْمَاءَ لِنَغْسِلَ أَطْرَافَنَا مِنْ غُبَارِ الطَّرِيقِ. » وَبَعْدَ حِينٍ جَاءَتْ بِدَلْوٍ يَرْشَحُ بِالْمِيَاهِ، وَعِنْدَمَا نَظَرَتْ إِلَيْهِ وَجَدَتْهُ مُعَكَّرًا، فَسَكَبَتْهُ فِي التُّرَابِ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ مِنَ الْبِئْرِ مَاءً آخَرَ، وَقَامَتْ بِسَكْبِهِ مِنْ جَدِيدٍ، وَهَكَذَا فَعَلَتْ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً، وَالشَّابُّ السَّقَّاءُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا مُسْتَغْرِبًا مِنْ سُلُوكِهَا فِي تَبْذِيرِ الْمَاءِ، فَقَالَ لَهَا مُسْتَغْرِبًا : « أَسْتَسْمِحُكِ سَيِّدَتِي فِي سُؤَالٍ : « لِمَاذَا سَكَبْتِ الْمَاءَ عَلَى التُّرَابِ حَتَّى ضَاعَ هَدَرًا، وَلَمْ تَسْقِي بِهِ شَجَرَةَ الْكَرْمَةِ وَنَبَاتَ النَّعْنَاعِ، إِنَّهُمَا فِي حَالَةِ ذُبُولٍ وَيَحْتَاجَانِ إِلَى السَّقْيِ ؟ »» فَنَاوَلَتْهُ الدَّلْوَ الْأَوَّلَ، فَغَسَلَ أَطْرَافَهُ عِنْدَ مَشَاتِلِ النَّعْنَاعِ، ثُمَّ عَبَّأَ دِلاَءً أُخْرَى، وَسَقَى أَشْجَارَ التُّوتِ الْعَطْشَى فِي أَرْكَانِ الْمَنْزِلِ، ثُمَّ تَنَاوَلَ التَّاجِرُ أَيْضًا الدَّلْوَ وَفَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَ ضَيْفُهُ، ثُمَّ قَالَ لِزَوْجَتِهِ : « هَكَذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ سُلُوكُنَا فِي الْمَنْزِلِ حِيَالَ الْمَاءِ، لَقَدْ قَضَّيْتُ أَعْوَامًا، وَأَنَا أَنْصَحُكُمْ

بِاسْـتِغْلَالِ الْمِيَـاهِ مِثْلَـمَا يَجِـبُ.» وَكَانَـتْ زَوْجَتُـهُ مُتَبَرِّمَـةً مِـمَّا فَعَـلَ الضَّيْـفُ، وَتَقَبَّلَـتْ كَلاَمَ زَوْجِهَـا عَـلَى مَضَـضٍ. وَفِي الْأَثْنَـاءِ نَصَبَـتْ الْفَتَـاةُ الْمَائِـدَةُ، وَوَضَعَـتْ عَلَيْهَـا مَـا لَـذَّ وَطَـابَ مِـنْ أَصْنَـافِ الْمَأْكُـولاَتِ وَأَنْـوَاعِ الْغِـلاَلِ، وَعِنْدَمَـا رَأَى الشَّـابُّ الْفَتَـاةَ، وَهِـيَ تَرْفُـلُ فِي أَحْسَـنِ لِبَـاسٍ، وَأَبْهَـى حُـلِيٍّ، وَأَجْمَـلِ صُـورَةٍ، أُعْجِـبَ بِهَـا، وَتَحَرَّكَـتْ عَاطِفَــتُهُ تُجَاهَهَـا، وَبَعْـدَ أَنْ أَتَمَّـا تَنَـاوُلَ الْفَطُـورِ، وَشَرِبَـا الشَّـايَ، نَهـضَ الشَّـابُّ وَوَضَـعَ عَـلَى كَتِفِـهِ جَـرَّةَ الْـمَاءِ، وَاسْـتَأْذَنَ لِلذَّهَـابِ، فَرَافَقَـهُ التَّاجِـرُ إِلَى الْبَـابَ، وَكَانَـتْ اِمْرَأَتُـهُ خَلْفَـهُ تَقُـولُ : « هَـا أَنَّنَـا تَعَرَّفْنَـا عَـلَى بَعْضِنَـا، فَـإِذَا اِحْتَجْـتُ إِلَى مَاءٍ بَارِدٍ، فَسَأَشْتَرِي مِنْكَ. »

وَمَـرَّتْ الْأَيَّـامُ، وَتَلَتْهَـا الْأَشْـهُرُ، وَصَـارَ التَّاجِـرُ يَسْـتَأْنِسُ بِالسَّـقَّاءِ، حَتَّـى صَـارَ صَدِيقَيْنِ حَمِيمَـيْنِ، وَكَانَ فِي كُلِّ مَـرَّةٍ يَدْعُـوهُ إِلَى الْبَيْـتِ، لِيَتَبَاهَـى بِـهِ أَمَـامَ الْعَائِلَـةِ، وَيُذَكِّرُهُـمْ بِحُسْـنِ التَّـصَرُّفِ فِي الْمِيَـاهِ... وَذَاتَ يَـوْمٍ قَابَـلَ السَّـقَّاءُ التَّاجِـرَ، وَفَاتَحَـهُ فِي أَمْـرٍ مُهِـمٍّ طَالِبًـا مِنْـهُ يَـدَ اِبْنَتَـهُ، فَاسْتَحْسَـنَ الْأَبُ هَـذَا الطَّلَـبَ، وَوَافَـقَ عَـلَى شَرْطِ أَنْ يَسْتَشِيرَ زَوْجَتَهُ وَاِبْنَتَهُ فِي الْمَوْضُوعِ.

وَعِنْدَمَـا فَاتَـحَ التَّاجِـرُ زَوْجَتَـهُ بِمَوْضُـوعِ خُطْبَـةِ السَّـقَّاءِ مِـنَ اِبْنَتِهَـا، رَفَضَـتْ رَفْضًـا قَاطِعًـا، لِكِنَّهَـا بَعْـدَ لَـأْيٍ فَوَّضَـتْ الْأَمْـرَ إِلَى الْفَتَـاةِ، لِعِلْمِهَـا بِأَنَّهَـا لَـنْ تُوَافِـقَ عَـلَى

الزَّوَاجِ مِنْ هَذَا السَّقَّاءِ الْحَامِلِ جَرَّةً عَلَى كَتِفِهِ طَوَالَ النَّهَارِ.
وَلَكِنَّ الْمُفَاجَأَةَ الْكُبْرَى، هِيَ أَنَّ الْفَتَاةَ كَانَتْ مُعْجَبَةً بِهَذَا الشَّابِّ إِعْجَابًا شَدِيدًا، لِمَا يَمْتَازُ بِهِ مِنْ حِكْمَةٍ، وَسَدَادِ رَأْيٍ، وَقَدْ رَأَتْ أَنَّهُ يَتَّفِقُ مَعَهَا فِي الطَّبَائِعَ، بِمَا فِيهَا مِيزَةُ الْحِفَاظِ عَلَى الْمِيَاهِ، وَحُسْنِ اِسْتِغْلَالِهَا، فَوَافَقَتْ عَلَى الزَّوَاجِ، وَكَانَ ذَلِكَ عِبْرَةً لِلزَّوْجَةِ الْمُبَذِّرَةِ وَدَرْسًا لَمْ تَنْسَهُ طَوَالَ عُمُرِهَا... وَعَاشَ السَّقَّاءُ وَالْبِنْتُ الْجَمِيلَةُ حَيَاةً سَعِيدَةً، أَحْسَنَا فِيهَا التَّدْبِيرَ دُونَ بَهْرَجٍ أَوْ تَكَلُّفٍ.

سُوءُ آلحَمَامْ
(عِينْ أمْ الطْيُورْ)

هذه الحكاية مستوحاة من الحكايات التقليدية المستخلصة من التراث التونسي للكاف، وهي جزء من سلسلة من الحكايات الجديدة حول الماء في المغرب العربي (الجزائر، المغرب وتونس).

كُتِبَت هذه الحكاية من طرف مجموعة من النساء المتطوعات في إطار ورشة الكتابة التشاركية التي نظمها مشروع «حكواتيات مغاربيات : فاعلات التغيير للحفاظ على الماء»، وذلك في مارس 2017 م بالكاف.

ساهمت السيدات لبنى عبروقي، خلود بالهادي، يسرى همامي، فاطمة حطابي، خولة ماهنن، نجاة نفزي ونجوى نسيبي في كتابة هذه الحكاية، تحت تأطير الدكتور عبد الرحمان أيوب.

رسم : نادية ذهب

قام بتتبع إنجاز هذه الحكاية :

السيدات ماريا آنا رودريغيز و كيريتي روجاني (الوكالة الألمانية للتعاون الدولي) وليليا بنزيد (مرصد الصحراء والساحل).

مراجعة النص أدبيّاً وفنيّاً : جهيدة بوخالفة، مستشارة تقنية، GIZ الجزائر

تعود محتويات هذا المنشور إلى مسؤولية الوكالة الألمانية للتعاون الدولي ومرصد الصحراء والساحل.

هذا المنشور للاستخدام غير الهادف للربح، وبالتالي لا يمكن بيعه.

فِي مَسْكَنٍ رِيفِيٍّ كَائِنٍ فِي قَرْيَةٍ تُسَمَّى (أُمَّ الطُّيُورِ)، تَسْكُنُ اِمْرَأَةٌ تُدْعَى عَائِشَةٌ صُحْبَةَ اِبْنَيْهَا، وَاحِدٌ اِسْمُهُ « الْمَانِعُ » وَالْأَكْبَرِ يُسَمَّى « صَالِحٌ »، وَبَيْنَمَا كَانُوا جَالِسِينَ يَحْتَسُونَ الشَّايَ، قَالَتْ الْأُمُّ لِاِبْنَيْهَا : « اِذْهَبَا إِلَى الْجَبَلِ، لِجَلْبِ حِزْمَةَ حَطَبٍ عِوَضًا عَنْ جُلُوسِكُمَا فِي الْبَيْتِ دُونَ شُغْلٍ، » فَلَمْ يَكْتَرِثْ الْاِبْنَانِ، فَظَلَّتْ الْأُمُّ عَائِشَةُ تُعِيدُ عَلَى مَسَامِعِهِمَا طَلَبَهَا، إِلَى أَنْ نَهَضَا الشَّابَّانِ عَلَى مَضَضٍ، وَقَصِدَا الْجَبَلَ وَلاَحَا صَاعِدَيْنِ الصُّخورَ الْكَبِيرَةَ، وَسَالِكَيْنِ ثَنَايَاهُ الْوَعْرَة، وَمَسَارِبَهُ الْمُلْتَوِيَةِ، وَبَقِيَا سَائِرَيْنِ سَاعَاتٍ طَوِيلَةً، إِلَى أَنْ تَاهَا، وَلَمْ يَعُودَا يُمَيِّزَانِ طَرِيقَ الْعَوْدَةِ إِلَى مَنْزِلِهِمَا. وَأَضْحَيَا يَمْشِيَانِ وَلاَ يَعْلَمَانِ أَيْنَ هُمَا، وَلاَ أَيّ طَرِيقٍ يُمْكِنُ أَنْ يَسْلَكَاهُ لِلْعَوْدَةِ مِنْ حَيْثُ اِنْطَلَقَا، وَلَكِنْ لِلْأَسَفِ، كَانَا يَسِيرَانِ عَكْسَ الْاِتِّجَاهِ الصَّحِيحِ إِلَى أَنْ أَدْرَكَهُمَا الْعَطَشُ، وِأَخَذَ مِنْهُمَا الْجُوعُ مَأْخَذًا شَدِيدًا، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَحُثَّانِ السَّيْرَ إِلَى الْأَمَامِ، دُونَ عِلْمٍ بِأَنَّهُمَا يَتَوَغَّلاَنِ فِي الْمَسَارِ الْخَاطِئِ، وَيَبْتَعِدَانِ أَكْثَرَ، فَأَكْثَرْ عَنْ مَنْزِلِهِمَا.

وَبَيْنَمَا هُمَا عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ، إِذْ رَأَيَا بِرْكَةَ مَاءٍ بَيْنَ الْأَعْشَابِ الْجَبَلِيَّةِ، وَقَدْ اِخْضَرَّ مَاؤُهَا مِنْ فَرْطِ الرُّكُودِ مُدَّةً طَوِيلَةً دُونَ سَيَلاَنٍ. فَقَالَ الْمَانِعُ:» نَحْمَدُ اللهَ عَلَى أَنَّنَا وَجَدْنَا ضَالَّتَنَا أَخِيرًا، وَعَثَرْنَا عَلَى الْمَاءِ وَكُنَّا سَنَهْلَكُ مِنْ شِدَّةِ

الْعَطَـشِ، » وَهَـمَّ بِتَنَـاوُلِ جُرْعَـةً مِنْهَـا، فَصَـدَّهُ صَالِـحٌ مَاسِـكًا إِيَّـاهُ مِـنْ طَـرَفِ « الْقَشَّـابِيَّةِ » وَقَـالَ لَـهُ : « لاَ تَـشْرَبْ يَـا أَخِـي... أَرَاهُ مَـاءً آسِـنًا، وَإِنْ شَرِبْـتَ مِنْـهُ سَـيُصِيبُكَ سُـوءٌ » فَقَـالَ الْمَانِـعُ : « دَعْنِـي يَـا أَخِـي أَشْرِبُ... أَكَادُ أَهْلَـكُ مِـنْ فَـرْطِ الْعَطَـشِ، فَأَنَـا مَيِّـتٌ لاَ مَـا حَالَـةٌ، سَـوَاء شَرِبْـتُ أَمْ لَـمْ أَشْرِبْ. » فَأَجَابَـهُ صَالِـحٌ مِـنْ جَدِيـدٍ قَائِـلاً لَـهُ : « أَلَـمْ تَـرَ الْحَـشَرَاتِ تَتَـسَرَّبُ مِـنْ أَطْـرَافِ الْبِرْكَـةِ... أَجُنِنْـتَ يَـا مَانِـعُ !؟ » ثُـمَّ وَاصَـلَ حَدِيثَـهُ : « تَعَـالَ نُوَاصِـلُ سَـيْرَنَا، فَإِنَّنَـا سَـنَعْثُرُ حَتْـمًا عَـلَى عَـيْنِ مَـاءٍ نَظِيفَـةٍ، نَرْتَـوِي مِنْهَـا عِوَضًـا عَـنْ هَـذَا الْـمَاءِ الْآسِـنِ. »

وَاصَـلَ الْأَخَـوَانِ السَّـيْرَ دُونَ تَوَقُّـفٍ، لَكِـنْ لِلْأَسَـفِ لَـمْ يَعْـثُرَا عَـلَى قَطْـرَةِ مَـاءٍ تُطْفِـئُ

ظَمَأَهـمَا، وَالْحَـالُ أن فَصْـلَ الصَّيْـفَ بَـدَأَ يُطِـلُّ بِوَهجِ حَـرِّهِ، بَعْـدَ أنْ تَرَاجَـعَ الرَّبِيعُ... فَتَأَثَّـرَ جَسَـدَاهُمَا تَأَثُّـرًا شَـدِيدًا، وَكَادَ أَنْ يُغْمَـى عَلَيْهِـمَا، وَقَـدْ اِسْـتَبَدَّ بِهِـمَا الْعَطَـشُ وَشِـدَّةُ الْحَرِّ.

وَبَيْنَـمَا هُـمَا يَتَأَلَّـمَانِ، لاَحَـتْ لَهُـمَا مِـنْ بَعِيـدٍ زَوْبَعَـةٌ بَيْضَـاءُ، تَـدُورُ بِسُرْعَـةٍ فَائِقَـةٍ فِي مَسَـارٍ لَوْلَبِـيٍّ، يَصْعَـدُ فِي اِتِّجَـاهِ السَّـمَاءِ.

وَلَـمْ يَمْـضِ وَقْـتٌ طَوِيـلٌ، حَتَّـى هَـدَأَتْ هَـذِهِ الزَّوْبَعَـةُ الْعَجِيبَـةُ، وَحَطَّـتْ رِحَالَهَـا عَـلَى الْأَرْضِ أَمَامَهُـمَا، وَظَهَـرْت مِـنْ لُفَافَـةِ ضَبَابِهَـا، اِمْـرَاةٌ جَمِيلَـةٌ فِي صُـورَةِ مَلاَئِكَـةٍ وَقَالَـتْ لَهُـمَا : « أَنَـا خَادِمَتِكُـمَا أَيُّهَـا الشَّـابَّانِ ... أَطْلُبَـا مَـا تَرِيـدَانِ مِنِّـي، وَسَـأُلَبِّي

طَلَبَكُمَا فِي الْحَالِ. » فَقَالَ لَهَا صَالِحٌ : « بِوِدِّي أَنْ أَحْصلَ عَلَى شَرْبَةِ مَاءٍ...فَقَطْ شَرْبَةُ مَاءٍ لاَ غَيْرَ، لَقَدْ شَاحَتْ كَبِدَانَا مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ يَا سَيِّدَتِي. »

فَقَالَتْ لَهُمَا : « لِلْأَسَفِ .... أَسْتَطِيعُ أَنْ أُسَاعِدَكُمَا عَلَى أَيِّ أَمْرٍ تُرِيدَانِهِ مَا عَدَا تَوْفِيرِ الْمَاءِ... لِأَنَّ هَذَا الطَّلَبَ يَخُصَّكُمَا أَنْتُمَا، وَيَحْتَاجُ إِلَى مَزِيدَ الْبَحْثِ، لِتَعْثُرَا عَنْهُ إِنْ اِجْتَهَدْتُمَا، فَأَنَا لاَ أُشَجِّعُ الشَّبَابَ عَلَى الْكَسَلِ. »

ذَهَبَ الشَّابَّانِ مِنْ جَدِيدٍ يَبْحَثَان عَنِ الْمَاءِ فِي أَيِّ نَبْعٍ يُمْكِنُ أَنْ يَرْتَوِيَا مِنْهُ، وَلَكِنَّهُمَا عَادَا بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ. وَمَرَّةً أُخْرَى ظَهَرَتْ لَهُمَا الْمَرْأَةُ الْمَلاَئِكَةُ وَقَالَتْ لَهُمَا : « مَا بِكُمَا عُدْتُمَا خَائِبَيْنِ، أَلَمْ تَعْثُرَا عَلَى وَادٍ أَوْ عَيْنٍ ؟ » فَقَالاَ لَهَا : « حَتَّى الْغُدْرَانُ وَجَدْنَاهَا قَدْ جَفَّتْ، وَلَمْ يَعُدْ لَنَا مِنْ سَبِيلٍ إِلَى الْاِرْتِوَاءِ، وَلَوْ سَمِحْتِ اِعْطِنَا مَا يُمْكِنُ أَنْ يَسُدَّ الرَّمَقَ عَلَى الْأَقَلِّ، لَقَدْ جُعْنَا جُوعًا شَدِيدًا... » وَفِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ نُصِبَتْ مَائِدَةٌ عَلَيْهَا مَا لَذَّ وَطَابَ مِنَ الطَّعَامِ، عَسَلٌ وَكُسْكُسِيٌّ وَخُبْزٌ ذَكِيُّ الرَّائِحَةِ وَجبْنَةٌ مَالِحَةٌ... فَأَكَلاَ إِلَى أَنْ أَصَابَتْهُمَا التُّخْمَةُ، لَكِنَّ الْمَاءَ بَقِيَ مَفْقُودًا عَلَى هَذِهِ الْمَائِدَةِ، وَلَمْ يَرْتَشِفَا وَلَوْ قَطْرَةٍ وَاحِدَةٍ، وَبَقِيَا ظَامِئَيْنِ مِثْلَمَا كَانَا مِنْ قَبْلُ بَلْ اِزْدَادَ عَطَشُهُمَا، لِأَنَّهُمَا قَدْ تَنَاوَلاَ الْأَكْلَ الْمَالِحَ، فَنَظَرَا إِلَيْهَا صَالِحٌ، وَقَالَ لَهَا مِنْ جَدِيدٍ:» شُكْرًا لَكِ عَلَى هَذَا الْكَرَمِ سَيِّدَتِي، وَلَكِنْ

لَـوْ تَفَضَّلْـتِ وَأَحْـضَرْتِ لَنَـا الْـمَاء... لَقَـدْ اِشْـتَدَّ بِنَـا الْعَطَـشُ. » فَأَخْرَجَـتْ مِـنْ بَـيْنِ طَيَّـاتِ ثِيَابِهَـا حَمَامَـةً، وَأَطْلَقَتْهَـا فِي الْهَـوَاءِ وَهِـيَ تُغَنِّـي :

« يَا حْمَامَه طَارِتْ لِلْعَالِي، الْعَالِي نِشْكِيلُو يَا

يَا لُمِّيمَا يَا مَا ....الْعَالِي نِشْكِيلُو يَامَا

الْعَالِي نِشْكِيلُو يَا زَهْرِي يَامَا

وَاشْ اِنْدَنِّيلُو يَا... يَا لُمِّيمَا يَا

لَوْ كَانْ جَاءْ قُولِيـلُو يَا ـ »

ثُـمَّ عَـادَتْ الْحَمَامَـةُ مِـنْ جَدِيـدٍ، وَحَطَّـتْ عَـلَى كَتِـفِ الْمَـرْأَةِ الرَّقِيـقِ، فَقَالَـتْ : « هَـذِهِ الْحَمَامَـةُ أَحَـبُّ إِلَيَّ مِـنْ كُلِّ مَـا فِي الْأَرْضِ، وَأَخْـشَى عَلَيْهَـا مِـنَ الْمَـوْتِ لَـوْ بَقِيَـتْ دُونَ مَـاءٍ ،لِأَنَّهَـا هِـيَ أَيْضًـا تُعَـانِي مِـنَ الظَّمَـئ مُنْـذُ مُـدَّةٍ. وَمَـا عَلَيْكُـمَا إِلاَّ إِيجَـادَ الْـمَاءِ لَهَـا، لِأَكُـونَ سَـعِيدَةً بِكُـمَا. » فَأَجَابَهَـا الْمَانِـعُ بِصَـوْتٍ وَاهِـنٍ : « نَحْـنُ لَـمْ نَجِـدْ الْـمَاءَ لْأَنْفُسِـنَا، فَكَيْـفَ يُمْكِـنُ أَنْ نُوَفِّـرَهُ إِلَى هَـذِه الْحَمَامَـةِ ؟! » فَقَالَـتْ لَهُـمَا : « طَيِّـبٌ، تَرَقَّبَـا قَلِيـلاً... » وَبِسُرْعَـةٍ رَفَعَـتْ عَصًـا لَيْزَرِيَّـةً، فَأَضَـاءَ مِنْهَـا شُـعَاعٌ أَزْرَق، بَلَـغَ بَرِيقَـهُ عَنَـانَ السَّـمَاءِ. فَعَـمَّ الْغَابَـةُ نُـورٌ كَثِيـفٌ ـ

نَظَـرَ الْأَخَـوَانُ مُنْدَهِشِـينَ، فَـإِذَا بِسَـطْلِ مَـاءٍ صَـافٍ رَقْـرَاقٍ يَمْثُـلُ أَمَامُهُـمَا، فَمَـدَّا

أَيْدِهِمَا إِلَيْهِ لِيَشْرِبَا مِنْهُ فِي لَهَفٍ، لَكِنَّهُمَا وَجَدَاهُ مَثْقُوبًا فَقَالَ صَالِحٌ : « نَرْوِي الْحَمَامَةَ أَوَّلاً » وَلَكِنَّهُمَا عِنْدَمَا رَفَعَاهُ، كَانَ الْمَاءُ قَدْ سَالَ مِنَ الثُّقْبِ وَنَفَدَ تَمَامًا، فَبَقِيَا مُحْبَطَيْنِ لاَ يَعْرِفَانَ مَاذَا يَفْعَلاَنِ، فَرَفَعَا بَصَرَهُمِا إِلَى الْمَرْأَةِ، فَوَجَدَاهَا كَأَنَّهَا عَلَى عَرْشٍ نُورَانِيٍّ مُعَلَّقًا بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ. وَقَالَتْ لَهُمَا بِصَوْتٍ جَهْوَرِيٍّ : « قُولاَ لِي عَنْ مَاذَا جِئْتُمَا تَبْحَثَانِ فِي هَذِهِ الْغَابَةِ الْجَبَلِيَّةِ الْخَالِيَةِ؟ فَقَالاَ لَهَا : « لَقَدْ أَرْسَلَتْنَا أُمُّنَا لِنَحْتَطِبَ، وَنَعُودُ بِالْأَخْشَابِ الْجَافَّةِ لِإِحْمَاءِ » الْفُرْنِ الطِّينِيِّ، « لِطَهْيِ الْخُبْزِ وَإِعْدَادِ الطَّعَامِ.» فَأَجَابَتْهُمَا بِنَبْرَةٍ غَاضِبَةٍ : « لَقَدْ رَأَيْتُكُمَا لاَ تَفْعَلاَنِ شَيْئًا طَوَالَ النَّهَارِ، وَتُبَدِّدَانِ الْوَقْتَ دُونَ عَمَلٍ أَوْ مَنْفَعَةٍ، » فَقَالَ لَهَا الْمَانِعُ : « هَذَا الْكَلاَمُ غَيْرُ صَحِيحٍ، نَحْنُ دَائِمًا نُقَلِّبُ الْأَرْضَ الْجَافَةَ، وَنَحْتَرِثُهَا عَسَى أَنْ يَرْزُقَنَا اللهُ بِالْأَمْطَارِ، وَقُمْنَا بِحَفْرِ الْآبَارِ الْعَمِيقَةِ، عَلَّنَا نَعْثُرَ عَلَى الْمَاءِ وَنَنْتَفِعَ بِهِ؛ » وَكَانَ الْمَانِعُ كُلَّمَا تَكَلَّمَ اِزْدَادَ عَطَشُهُ وَالْحَالُ نَفْسُهُ لَدَى صَالِح. فَأَجَابَتْهُمَا : « لِمَاذَا لَمْ تَبْنَيَا مَاجِلاً فِي الْمَنْزِلِ لِلْاِسْتِفَادَةِ مِنْهُ كُلَّمَا نَزَلَتْ الْأَمْطَارُ، فَتَدَّخِرَانِ الْمَاءَ فِيهِ، حَتَّى إِذَا أَمْسَكَتْ السَّمَاءُ عَنْ اِنْزَالِ الْغَيْثِ النَّافِعِ، وَجَدْتُمَا ضَالَّتَكُمَا فِيهِ، لَقَدْ لاَحَظْتُ أَنَّكُمَا لَمْ تُشَيِّدَانِ خَزَّانًا وَلاَ جَابِيَةً وَلاَ سَاقِيَةً، بَلْ اِكْتَفَيْتُمَا بِالتَّعْوِيلِ عَلَى مِيَاهِ الْأَمْطَارِ... وَهَذَا هُوَ الْخَطَأُ الْكَبِيرُ. » ثُمَّ اِسْتَدْرَكَتْ وَكَأَنَّهَا

تَذَكَّـرَتْ أَمْـرًا مُهِـمًّا وَقَالَـتْ : « ... فِي يَـوْمٍ مَّـا، بَيْنَـمَا كُنْـتُ أُحَلِّـقُ فَـوْقَ الْحُقُـولِ تَحْـتَ هَـذَا الْجَبَـلِ، رَأَيْـتُ مَنَاطِـقَ خَـضْرَاءَ كَأَنَّهَـا مِـنْ رِيَـاضِ الْجَنَّـةِ، وَرَأَيْـتُ سَـهْلاً مُسَـطَّحًا عَلَيْهَـا يُشْـبِهُ الْقَبْـوَ، وَكَانَ لَوْنُـهُ نَاصِعًـا. وَفِيـهِ فتْحَـاتٌ ثَـلاَثٌ، وَفَوْقَـهُ ثَلاَثَـةُ أَبْـوَاب حَمْـر، وَلَـمْ أَدْرِ مَـا هُـوَ. »

قَفَـزَ صَالِـحٌ وَقَـالَ لَهَـا : « نَعَـمْ... نَعَـمْ تَذَكَّرْتُـهُ... ذَاكَ خَـزَّانٌ كَبِـيرٌ. أَيْـنَ رَأَيْتِـهِ أَرْجُـوكِ ؟ » فَقَالَـتْ : « لَقَـدْ رَأَيْتُـهُ حَيْـثُ يُوجَـدُ فَلاَّحُـونَ يَعْرِفُـونَ كَيْـفَ يُحَافِظُـونَ عَـلَى الْـمَاءِ، وَيَسْـتَغِلُّونَهُ أَحْسَـنَ اِسْـتِغْلاَلٍ بِمَـا أَنَّـه نِعْمَـةٌ وَهَبَهَـا اللـهُ سُـبْحَانَهُ لَهُـمْ، وَمَـا عَلَيْكُـمَا إِلاَّ الْاِعْتِبَـارَ مِـنْ خِبْرَتِهِـمْ فِي هَـذَا الْمَيْـدَانِ، وَمُنَافَسَـتِهِمْ دُونَ حَسَـدٍ، فَاذْهَبَـا وَشَـمِّرَا عَـلَى سَـوَاعِدِ الْجِـدِّ، وَافْعَـلاَ مِثْلَـمَا فَعَلُـوا هُـم، » ثُـمَّ وَاصَلَـتْ كَلاَمَهَا مِـنْ جَدِيـدٍ قَائِلَـةً : « أَمَّـا الْآنَ فَقَـدْ اِشْـتَدَّ الظَّـمَأُ بِحَمَامَتِـي، لِذَلِـكَ عَلَيْكُـمَا حَمْلَهَـا مَعَكُـمَا، لِتَشْرِبَـا أَنْتُـمَا وَتَرْوِيَانِهَـا مَعَكُـمَا... احْمِـلاَ مَعَكُـمَا أَيْضًـا هَـذَا الدَّلْـوَ، وَاصْعَدَا إِلَى الْجَبَـلِ وَانْظُـرَا عَـلَى يَمِينِكُـمَا. » وَفِي الْحِـينِ هَـرْوَلَ صَالِـحٌ نَاحِيَـةَ الْجَبَـلِ، فَـرَأَى بَحْـرًا لاَ يَعْـرِفُ أَيْـنَ يَنْتَهِـي مَـدَاهُ، وَقَـدْ كَانَ مَـاؤُهُ يَتَـلأْلأُ تَحْـتَ أَشِـعَّةِ الشَّـمْسِ، فَامْتَـلأَتْ عَيْنَـاهُ بِالدُّمُـوعِ، وَقَـالَ صَائِحًـا : « الْـمَاءُ أَمَامَنَا وَنَحْـنُ نَكَادُ نَمُوتُ عَطَشًـا.» فَقَالَـتْ الْمَـرْأَةُ : « امْتَـطِ أَنْـتَ يَـا صَالِـحُ جَنَاحِـي الْأَيْمَـنَ، وَأَنْـتَ يَـا مَانِـعُ جَنَاحِـي

الْأَيْسَرَ. » بِمُجَرَّدِ سَمَاعِ ذَلِكَ قَفَزَ الْمَانِعُ وَأَمْسَكَ صَالِحُ بِالْدَّلْوِ، وَامْتَطَى جَنَاحِهَا أَيْضًا. وَبِسُرْعَةٍ طَارَتْ بِهِمَا الْمَرْأَةُ الْمَلاَئِكَةُ، وَحَامَتْ بِهِمَا عَالِيًا، وَهُمَا يُحَدِّقَانِ فِي الْمِيَاهِ الْمُمْتَدَّةِ، أَبْعَد مِمَّا يَنْتَهِي الْبَصَرُ، وَفَجْأَةً صَاحَ صَالِحٌ : « إِنَّهُ سُدُّ مَلاَّقْ ...هَا هُوَ الْحَمَّامْ الْعِمْلاَقُ ...وَذَاكَ هُوَ النَّبْعُ الْمِدْرَارُ الصَّاعِدُ مِنْهُ الْبُخَارُ، » ثُمَّ شَعُرَا بِأَنَّهُمَا يَنْزِلاَنِ رُوَيْدًا رُوَيْدًا، إِلَى أَنْ حَطَّتْ بِهِمَا الْمَرْأَةُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى سُدِّ مَلاَّقْ، فَبَادَرَ صَالِحٌ بِإِنْزَالِ دَلْوِهِ فِي الْمَيَاهِ الْعَمِيقَةِ، وَبَعْدَ أَنْ رَفَعَهُ نَاوَلَ الْحَمَامَةَ مَزَّاتٍ عَدِيدَةً إِلَى أَنْ ارْتَوَتْ، وَمَدَّتْ جَنَاحَيْهَا وَطَارَتْ عَالِيًا، ثُمَّ نَاوَلَ الْمَانِعَ مَا أَرَادَ مِنَ الْمَاءِ حَتَّى اِرْتَوَى، وَبَعْدَهَا أَعَادَ مَلْءَ الْدَّلْوِ، وَنَاوَلَ الْمَرْأَةَ إِيَّاهُ فَقَالَتْ لَهُ : « أَصْلَحَ اللهُ عَمَلَكَ. أَنَا لاَ آكُلُ ... وَلاَ أَشْرَبُ ... خُذْ مِنَ الْمَاءِ مَا اِسْتَطَعْتَ، وَاسْقِ بِهِ الْحَرْثَ الَّذِي حَرَثْتَهُ أَمَامَ مَنْزِلِكَ، ثُمَّ الْأَشْجَارِ الْعَطْشَى وَأَفْعَلْ ذَلِكَ مَرَّةً فِي الْأُسْبُوعِ عَلَى الْأَقَلِّ لِأَنَّ الْأَرْضَ تَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ مِنَ الْمِيَاهِ. فَشَجَرَةُ اللَّوْزِ يَكْفِيهَا إِنَاءُ مَاءٍ، وَكَذَلِكَ شَجَرَةُ الزَّيْتُونِ. وَالْمُهِمُّ أَنْ لاَ تَغْفَلَ عَنْهَا.» وَفَجْأَةً أَبْصَرَ صَالِحٌ النُّورَ يَلُفُّ الْمَرْأَةَ وَهِيَ تَصَّاعَدُ فِي السَّمَاءِ، حَتَّى غَابَتْ عَنْ الْأَنْظَارِ فِي غُيُومِ السَّمَاءِ.

Ces contes ont été écrits en 2017 dans le cadre d'ateliers de formation et de rédaction participative organisés par la mesure « Conteuses du Maghreb, actrices du changement pour la préservation de l'eau » rattachée au projet Maghrébin de « Coopération Régionale pour la gestion durable des ressources en Eau au Maghreb (CREM) ».

Ces contes sont inspirés des contes traditionnels issus du patrimoine immatériel de chaque région impliquée dans le projet dans chacun des pays du Maghreb : Algérie, Maroc et Tunisie.

Ils font partie d'une série de nouveaux contes sur l'eau au Maghreb (Algérie, Maroc, Tunisie) et sont considérés comme outil d'émancipation et de valorisation du rôle des femmes dans la société utilisant le conte comme vecteur de messages à destination des enfants en particulier et du grand public en général pour la préservation des ressources en eau dans la région. Ils ont été rédigés par un groupe de femmes bénévoles qui, par l'appropriation de la tradition orale, se chargeront de les transmettre aux nouvelles générations.

GROUPES DES CONTEUSES

Algérie : El-Oued (Wilaya d'El-Oued)
M'Barka Bahnoun, Fatiha Bedjag, Saida Belhadi, Saida Benhoumia, Cherifa Cherif, Fatima Djelloul, Salima Ghodbane, Karima Hamed, Halima Sebbak Abdelkader, Souad Didi et Salima Ghezal

Maroc : Taounate (Province de Taounate)
Sanae Azenoud, Soumaya Azouzi, Kaoutar Azrak, Naima Bouftila, Bahija Kellati, Fatima Lgana, Ftetem Senhaji, Samira Sratel, Farida Tanji et Aicha Tariq

Tunisie : ● Le Kef (Gouvernorat du Kef)
Lobna Abrougui, Khouloud Belhedi, Yosra Hammemi, Fatma Hattabi, Khawla Mahnen, Najet Nefzi et Najoua Nsibi

● Kerkennah (Gouvernorat de Sfax)
Raja Allouche, Fatma Bechikha, Omezzine Ben Amor, Ismahène Ben Hamida, Rahma Ben Hamida et Aida Ghram

●●●

Traduction et adaptation des contes en Arabe :
Tunisie et Maroc : Centre pour l'Intégration en Méditerranée
Algérie : Djahida Boukhalfa, Conseillère Technique Senior GIZ Algérie,

Dessins contes tunisiens et algériens : Nadia Dhab
Dessins contes marocains : Abdel8, S. Ayoub et N. Chaar

coopération
allemande
DEUTSCHE ZUSAMMENARBEIT

giz

OBSERVATOIRE
DU SAHARA
ET DU SAHEL

cmi

2019